

## الادب التونسي درر يحتاجه النشئ

بقلم : محسن الكريفي

لم يشمخ الأدب التونسي عبثا ولم يولد ولادة قيصرية . ظلّ على امتداد عقود في زحام الوجود وتثبيت الذات وصراع البقاء... إنَّ الأصوات التونسيّة الحاضرة بمختلف مجاريها النقدية والروائيّة والقصصيّة والشعرية نتاج لضنك السنين وأرق الليالي، ويشهد أغلب النقاد من الشرق والغرب بأهميّة أغلبها . ولكن هذه التجارب مازالت في حاجة الى فتح الأبواب أمامها حتّى يكرع النشء من مناهلها ويتعاقب مع سحوبها وموجها ... لقد ظلت أبواب المؤسسات التربوية تغلق أبوابها أمام الاجتهادات التونسيّة المعاصرة بالقياس مع المشاركة والأعلام الذين حفظنا أسماءهم أكثر من مناضلي الحرف وشهداء الدواة. تجارب محمد الباردي الروائية والأحجيات القيروانية الجميلة الماحري ومقدمات محمد لطفي اليوسفي عينات وإشارات مضيئة لدرب إبداع تونس طويلا. نتساءل إلى حدّ الان عن القائمة الرسميّة لكتب المطالعة المدرسية وسرّ بقائها لا تتغيّر ولا تشع تجارب تونسيّة لمبدعين معاصرين في الكتاب المدرسي الجديد للسنّة الثالثة من التعليم الثانوي مثلا اقتصار على الشاعر المنصف الوهايي فأين بقية الشعراء

وهل تعذر اللّجنة المؤلّفة بنصوب المتابعات النقديّة لنشفع لهم على خيارهم ؟ إنّ الاحتكاك بالنص ذاته ومحاورته والتمرّس بتضاريسه خير مرجع لترشيف رضاية والوصول الى غاياته.

لسنا ضدّ الانفتاح ومعرفة الآخر والاطّلاع على الابداعات الانسانية ولكنّ المبدع التونسي لم يسهم في هذا المجرى الانساني العالمي فلماذا نضع الحجاب أمام مناراته التربويّة والتواصل مع الأبناء التلاميذ لتنعقد الحلقة ويخلد الذكر الحكيم في ذاكرة الاجيال اللاحقة .

أحيينا أدب محمد العروسي المطوي وعشقنا درر محمود المسعدي ولعلنا من نغمة شعر الشابي ومنور صمادح لأننا عاشرنا أدهم في كتبنا المدرسيّة السابقة . أليس من حق محمد العياشي طاع الله أن يخلد في الوجدان ؟ وروايات حفيظة القاسمي أن تسكن الذاكرة ؟ ... رجاء أيها المشرفون على البرامج الرسميّة المدرسيّة أن تعطوا المبدعين التونسيين حقّهم وتنصفوهم وتبلسموا جراحات التغييب .

إنّ ثقافة تونس المعاصرة أرجعت للتونسي مكانته وللمبدع حقّه وللکلمة دورها في الاعلاء والتغيير . المناسبات الثقافية أصبحت مناسك دوريّة لإكرام المبدعين التونسيين . نشهد الكل بأنّ ثقافة التغيير أعطت للمبدع التونسي هيئته وجعلته سنداً وأساساً للنماء الحضاري الشامل . كفانا شدوا للآخر . إنّ بلابل بلادي تصنع الربيع وقادرة على أن تجعله خصبا دائم العذوبة .

## المصطلحات اللسانية عند ابن خلدون

### في ضوء اللسانيات المعاصرة

بقلم : الأستاذ عمر حسن

#### مقدمة :

قد يتساءل أحد عن سبب الاهتمام بابن خلدون في عصرنا، وقد بلغت الدراسات اللسانية في العالم مستويات من التفكير تضاهي أكثر العلوم الإنسانية والتكنولوجية. غير أن هذا التقدم السريع جعلها تقيم قطيعة مع الدراسات اللسانية القديمة، وفي هذا يقول تشومسكي: "وفي المقابل، انقطعت اللسانيات الحديثة بطوعية عن النظرية اللسانية التقليدية وحاولت إنشاء نظرية لسانية بكيفية جديدة كل الجدة ومستقلة. ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموما إلا قليلا بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قبل التقليد الأوروبي السابق، واهتموا بمسائل مختلفة جدا، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارها الدراسات اللسانية الأكثر قدما، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حد الآن، وما زلنا إلى اليوم نجهل كثيرا إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف غير خفي" (1).

ولم يكن العرب بمنأى عن هذا الموقف المجحف، وذلك لأنهم انساقوا

وراء منجزات اللسانيات المعاصرة الوافدة من الغرب-والمغلوب مولع بالغالب دائما- تاركين وراءهم تراثا عربيا زاخرا. ولهذا السبب فكرت في هذه المحاضرة أن ألقى الضوء على الإسهامات اللسانية لابن خلدون، التي بقيت مجهولة رغم الدراسات والمقالات والكتب التي ألفت حوله. فكانت عبارة عن تأملات ونظرات في المباحث اللسانية عنده، وما قابلها من نظريات وآراء في اللسانيات المعاصرة، بمختلف مدارسها ومناهجها.

قد يرى البعض أنني مححف في حق الرجل، بإقحامه في مجال هو بعيد عنده، مجال اللسانيات في القرن العشرين، وهو الذي عاش في القرن الخامس عشر، لكن الذي جعلني أجتأ على هذا الموقف أن أغلب الذي أرخوا له عدوه متجاوزا عصره بكثير، أو اعتبروه طفرة في الزمن، حيث يقول المسدي: "وكثيرا ما يشير الباحثون إلى غرابة ظهور ابن خلدون في فترة انحسار المد الحضاري العربي، معتبرين أن المناخ الفكري الذي ساد طيلة القرن السابع والقرن الثامن ما كان يسمح موضوعيا بظهور فكر متميز على الصعيد الإنساني يتجاوز كل مكتسبات المعرفة البشرية الحاصلة قبله" (2). ويقول باحث آخر: "ربما كان من الإنصاف بمكان أن نعترف (...) بأننا مححفون في حق الرجل إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل ما تكتنزه هذه الشخصية العلمية الفذة من معارف أنسكلوبيدية جامعة وإحاطات علمية وإبستمولوجية واسعة، على الرغم من العصر الذي وجد فيه ابن خلدون كان عصر وهن وضعف وضحالة في

فضاءات الفكر والإبداع" (3).

إنَّ ما زاد اهتمامي بالجانب اللساني عند ابن خلدون أن أغلب الدارسين من الغرب والشرق نظروا إلى شخصيته من زوايا علمية متعددة، وعدّوه متعدد الاختصاص متشعب الاهتمامات، فهو تارة عالم اجتماع، وتارة فيلسوف، وتارة مؤرخ، ذلك أن "مذهبه الفكري وأسلوبه الذي في حقيقته مزيج من علوم متعددة" (4).

لقد كان ابن خلدون من ألمع الشخصيات العربية الإسلامية التي حظيت بمكانة متميزة عند المفكرين الغربيين والعرب، بل ربما كان اهتمام العرب بآرائه وأفكاره هو الذي دفع بالعرب إلى الاهتمام به. فلولا تحقيقهم - الغرب - آثاره ونشرها وترجمتها إلى لغاتهم ما نال الخطوة التي نالها عند أهل من العرب (5). ولما كان اهتمام الغرب منصبا على الجوانب الفكرية والفلسفية والاجتماعية، فقد أهملت آراؤه في المجال اللساني، رغم أنها لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء الخلدونية. وهذا ما حدا بي إلى محاولة تسليط الضوء على المصطلحات اللسانية عنده في ضوء الآراء والنظرية اللسانية المعاصرة. ونظرا إلى أن المقام لا يسمح بتفصيل القول في كل المصطلحات الواردة في المقدمة، فإني أقصر هنا على أربعة مصطلحات، أراها من أهم دعائم النظرية اللسانية عند ابن خلدون: الملكة، علوم اللسان، النحو، الصوت.

## 1- الملكة:

استخدم ابن خلدون مصطلح الملكة في فصول كثيرة من المقدمة،

دون أن يقدم لنا تعريفاً له، على خلاف ما عهدناه عنده، إذ نجد أنه يعرف كل مصطلح يستعمله في كتابه، بل إن الغرض الذي ألف من أجله المقدمة، كما أسلفنا، هو أن تكون المقدمة "مستوعبة لمقولات الفكر النقدي، مع غزارة تأليفية هي وليدة القدرة على التحريد والطاقة على الاستقطاب المعرفي الشامل" (6)، وكأنه لا يرى حاجة إلى تعريفه، فهو معروف عند العامة والخاصة. وعلى كل حال، فالملكة هي: "الكيفية الراسخة في النفس التي يقتدر بها على استحضار ما كانت في علمته واستحصال ما لم تعلمه" (7).

إن هذا التعريف الذي ينم عن فهم دقيق وعلمي للظاهرة اللسانية، هو الذي نستشفه من السياقات المختلفة التي ورد فيها مصطلح الملكة عند ابن خلدون، إذ يركز على ضرورة الرسوخ والقدرة على الأداء بشكل مثالي، حيث يقول: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع. وهذا هو معنى البلاغة" (8). فالأداء الجيد للغة يتوقف على حصول الملكة في شكلها المثالي.

واستعمال هذا المصطلح عند ابن خلدون يجعلنا نستحضر ثنائية

مشهورة في اللسانيات الغربية، وهي التي ميز فيها اللساني الأمريكي تشومسكي بين مصطلحين، يشملهما معا مصطلح ابن خلدون، هما مصطلحا الكفاءة والأداء ويقابلهما في الفرنسية (Compétence et performance)، أما الأول فهو "معرفة المتكلم/ المستمع بلغته"، وأما الثاني "الاستعمال الفعلي للكفاءة في مواقف فعلية" (9) غير أن ابن خلدون قد استطاع أن يجمع المصطلحين في موقف واحد، إذ الملكة عنده في اللسان للعبارة عما هو موجود في الذهن، فقد شمل المصطلح، إذن، مفهومي الكفاءة والأداء. وإن كان بعض العرب يترجمون مصطلح compétence بالملكة، وهذه ترجمة غير دقيقة بالمفهوم الخلدوني للملكة. وإذا كانت الملكة عند ابن خلدون هي التي تحدد نوعية أداء المتكلم للغة، إذ أن جودة تحصيلها تنعكس على جودة نوعية الأداء، فإن تشومسكي يرى أن الكفاءة مثالية عند جميع المتكلمين، أما الأداء فإنه يختلف باختلاف هؤلاء المتكلمين واختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية، وباختلاف الأوساط الاجتماعية التي ينتمون إليها (10).

والملكة تحصل باعتماد منهج خلدوني واضح، يشرحه في قوله: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة" (11). فهي تمر بثلاث مراحل، حيث تكون في البداية صفة، ثم تصبح حالا بعد تكرارها، وتعود في الأخير ملكة تمتاز بالرسوخ.

## 2- علوم اللسان:

إن الحيرة الاصطلاحية التي لمسناها في الصفحات الأولى من كتاب دو سوسير، وهو يحاول تحديد موضوع اللسانيات (التي تسعى إلى أن تصبح علما)، حيث يميز بين ثلاثة مستويات هي: Langage-Langue- Parole ، لا نجد لها أثرا عند ابن خلدون، حين أراد أن يصنف علوم اللسان، حيث يقول: "في علوم اللسان العربي: أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة" (12). فاللسان، في هذا التعريف يشمل موضوعات متنوعة، وتدخل في تكوينه عناصر مختلفة، ولذلك فإننا نراه مقابلا لمصطلح سوسير Langage، الذي يعرفه صاحبه قائلا "اللغة واللسان عندنا ليسا بشيء واحد. وإنما هي في الآن نفسه نتاج اجتماعي للملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا أخذنا اللسان جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي" (13). أما اللغة فتقابل عند سوسير مصطلح Langue ، الذي يعرفه قائلا: "أما اللغة فهي على عكس ذلك، كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب. وما إن نعطي اللغة المكانة الأولى ضمن أحداث اللسان، حتى ندخل نظاما طبيعيا إلى مجموعة من الظواهر لا تسمح بأي نوع من التصنيف" (14). ما نستشفه من هذه التعريفات التي جاء بها ابن خلدون وسوسير أن اللغة جزء من اللسان، وأن اللسان أعم وأشمل



منها، إذ هي تدخل في تكوينه، وإن كان عبد القادر المهيري يرى عكس ذلك، إذ يعتقد أن ابن خلدون يستعمل مصطلح اللسان للإشارة إلى نظام علامي بعينه، ومصطلح اللغة بمعدولات تختلف باختلاف السياق، ولا يمكن أداؤها بمصطلح اللسان، ومنها في المرتبة الأولى أداة التخاطب عامة بغض النظر عن كونها خاصة بقوم دون قوم (15).

وإذا كان المصطلحان يتداخلان أحيانا في مقدمة ابن خلدون أو يترادفان - حسب رأي المهيري - فهذا راجع في نظرنا إلى التقارب الشديد في دلالتهما من جهة، وإلى أن السياقات التي وردا فيهما لا يتطلبان الدقة الاصطلاحية العلمية. غير أن السياق الخلدوني الذي أوردناه فرض على ابن خلدون أن يميز بينهما تمييزا علميا صارما، إذ كان بصدد تصنيف العلوم اللسانية، وهو موقف يتطلب من صاحبه أن يتحلى بالدقة والصرامة العلمية.

أما المصطلح الثالث، وهو مصطلح الكلام، الذي يقابل مصطلح سوسير Parole، فقد جاء كذلك مطابقا في معناه للمعنى الذي قصده سوسير، إذ يدل على الاستعمال الفردي للغة في المواقف التخاطبية المختلفة.

ومن جهة أخرى، فإن تصنيف ابن خلدون لعلوم اللسان يكاد يكون مطابقا لما نجده في اللسانيات المعاصرة، حيث يرى - كما أسلفنا - أن أركانه أربعة هي: النحو واللغة والبيان والأدب، ويتفرع كل ركن منها إلى مجموعة من الفروع لتكون شجرة علوم اللسان عنده كثيفة، وافرة،

واعتبر ابن خلدون هذه الأركان متفاوتة في القيمة والرتبة بحسب دورها في تحصيل الملكة لدى المتكلم، حيث جاء ترتيبها كما يلي (16):

علم الإعجاز

علم الأدب

علم البيان

علم النحو

علم اللغة

إن الهدف الأسمى من اكتساب اللغة واستعمالها وحصول ملكتها هو فهم النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة واستنباط الأحكام الشرعية منهما، حيث يقول: "فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في النوفية بمقصود الكلام" (17). ويقصد بعلم اللغة صناعة المعاجم، أما البيان فيقصد به البلاغة، التي يرى أنها فرع من علم البيان في قوله: "فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث في هذه الدلالة التي للهيئات والأحوال والمقامات، وجعل على ثلاثة أصناف: الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جمع مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة. والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكتابة كما قلنا ويسمى علم البيان. وألحقوا بهما صنفاً آخر وهو النظر في تزين الكلام وتحسينه

بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك، ويسمى عندهم علم البديع" (18).

فالذي يثير انتباهنا فعلاً: "أن الأصناف التي صنفها ابن خلدون تحت مصطلح علوم اللسان العربي هي عين ما نراه اليوم ونقف عليه في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة" (19) وغير مثال على هذا التصنيف ما نجده في كتاب "المعجم الموسوعي لعلوم اللسان" ( Le dictionnaire encyclopédique des Sciences du Langage )، حيث يشمل الموضوعات والفروع التالية:

- الباب الأول: المدارس اللسانية

- الباب الثاني: الحقول (Les domaines)، واشتمل على الموضوعات التالية:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مكونات الوصف اللساني، اللسانيات الجغرافية، علم الاجتماع اللساني، علم النفس اللساني، البلاغة والأسلوبية، الشعرية، السيميائية، فلسفة اللغة.

- الباب الثالث: المفاهيم المنهجية (Les concepts méthodologiques)، ويتناولان فيه:

الدليل، التركيب وغطية الاستبدال، الفئات اللسانية، اللغة والكلام، المعيارية، الاعتبارية، الآنية والزمنية، تاريخ الأدب، الأجناس الأدبية، اكتساب اللغة، علم أمراض الكلام.

الباب الرابع: المفاهيم الوصفية (Les concepts descriptifs)، وفيه المواضيع التالية:

الوحدات الدالة، النطق الصوتي اللساني، نظم الشعر، الكتابة، أقسام الخطاب، الوظائف النحوية للشخصية، القواعد التوليدية، البنيات السطحية والبنيات العميقة، الإحالة تصنيف وقائع المعنى، خطاب الخيال، العلاقات الدلالية بين الجمل، النص، الأسلوب، الزمن وكيفية اللغة، زمن الخطاب، التلفظ، مقام الخطاب، اللغة والفعل (20).

### 3- النحو:

تمتاز الثقافة الإنسانية -على تشعب مجالاتها وتنوع مشاربها- بوجود مستويين متميزين، أولهما المستوى العلمي النظري الذي يهتم به العلماء والباحثون في ذلك المجال، وتوجه نتائجهم -عادة- إلى المختصين. وثانيهما المستوى التعليمي الذي يوجه إلى عامة المتعلمين في جميع المراحل التعليمية.

وإذا كان المستوى الأول يحتاج إلى تطوير وسائل البحث ومناهجه وأدواته، فإن المستوى الثاني يحتاج إلى تطوير الوسائل التعليمية وطرائق التدريس، ومعرفة حاجات المتعلمين من ذلك العلم، ذلك أن "كل مسعى منهجي محترم ينطلق من تحليل حاجات المتعلمين من ذلك العلم، ذلك أن "كل مسعى منهجي محترم ينطلق من تحليل حاجات الجمهور المقصود. إنها المرحلة المبدئية التي لا مناص من المرور عليها. فهي التي تبرز المبدأ الأساس الذي يرى أن التعليم يجب أن يكون مركزا على

المتعلم" (21). إن تحديد هذه الحاجات هو الذي يساعدنا على تحديد محتوى التعليم والبرامج الدراسية والمناهج الواجب اعتمادها في العملية التعليمية، مهما كان العلم ومهما كان التخصص.

والنحو، باعتباره أحد الفروع الرئيسية في الدراسات اللسانية يتميز -هو كذلك- بوجود هذين المستويين: المستوى العلمي والمستوى التعليمي (يعبر عنهما بالفرنسية بمصطلحي *Le savoir et le savoir faire*)، حيث يوجه الأول إلى المختصين من الباحثين والعلماء الذين وهبوا أنفسهم للبحث والتنقيب في أدق دقائق النحو. وقد عرف النحو العربي تطوراً نادراً ما نجد مثيلاً له في العالم فيما يخص النحو العلمي، أدى إلى ظهور مدارس نحوية ذات المناهج والآراء العلمية المتضاربة، فتشعب النحو وكثر فيه التفسير والتعليل والتأويل إلى درجة عالية من الدقة والعلمية، حتى إن بعضهم اعتبر هذا من قبيل الترف الفكري (22).

أما المستوى الثاني -المستوى التعليمي- فقد بقي بمثابة الابن الفقير في عائلة النحو، ذلك أن العلماء الذين تصدوا لتدريس النحو في العصور القديمة، وحتى الحديثة لم يميزوا بين مستوييه، وراحوا يلقنون المتعلمين في جميع أعمارهم كل ما يتصل بالنحو العربي دون تحديد حاجاتهم المعرفية وقدراتهم النفسية والعقلية.

وقد أدى هذا الوضع إلى أن أصبح النحو شبحاً يخيف المتعلمين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم، فتعالت الأصوات في جميع العصور

تنادي بضرورة تيسير النحو، وأخرى بضرورة إسقاط الإعراب أو التقليل من أهميته، بل وصلت إلى درجة الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى (23). غير أن بعض العلماء استطاعوا أن يضعوا أصابعهم على أساس المشكل، وأبرزهم ابن خلدون، الذي أدرك بحسه اللغوي السليم وتذوقه لجمال العربية خطورة النحو والإعراب، حيث ميز تمييزاً مستتراً واعياً بين صناعة الإعراب لذاتها، وبين الملكة اللغوية التي ينبغي العمل من أجل تكوينها في لسان طالب العربية، وعدم الانشغال بقوانين الإعراب المتشعبة، التي لا طائل تحتها في الكتابة والتعبير والمعنى (24). ولذلك وجدناه يقول في مقدمته: "صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع ولا يحكمها عملاً. فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذوي مودة، أو شكوى ظلامة، أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب أو أكثر من اللحن... وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المفعول من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة الكتابة. من هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وإنما هي مستغنية عنها بالجملة" (25).

فالنحو عنده يجب أن يقتصر على القسط الذي يجعل المتعلم يحصل

الملكة اللسانية، لأنه وسيلة لا غاية، يقول: "فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة. وأما العلوم التي هي آلة لغيرها، مثل العربية والمنطق وأمثالها، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط [...] فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الإشتغال به لغوا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها" (26).

#### 4- الصوت والحرف:

يعرف ابن خلدون الحرف في المقدمة بقوله: "اعلم أن الحروف في النطق [...] هي ككيفية الأصوات الخارجة من الخنجره تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الخنك والحلق والأضراس، أو بقرع الشفتين أيضا، فتتغير ككيفية الأصوات بتغير ذلك القرع، وتجيء الحروف متميزة في السمع وتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر. وليست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى [...] ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا، وفي لغتنا أيضا حروف ليست في لغتهم. وكذلك الإفرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم" (27). وهو تعريف قريب من تعريف ابن جني الذي يقول: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والقم

والشفتين مقاطع تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. وتختلف أحراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها..." (28).

إن هذا التعريف الذي جاء به ابن خلدون يدل على فهم دقيق للظاهرة الصوتية حيث يحدده بيميز بين مختلف المخارج، من حلقية ولسانية وحكيكية ولسانية وشفوية. فالصوت عنده كيفية خروج الصوت من الحنجرة وما يعترض ذلك الصوت من حواجز في مكان معين من الجهاز الصوتي. وتختلف الأصوات من أمة إلى أخرى، بحسب ما اختارته كل أمة لنفسها من أصوات ضمن مجموع الأصوات التي يمكن أن ينطق بها الإنسان. إن هذه النظرة الثاقبة تجعلنا نستحضر هنا ما ذهب إليه أندري مارتيني، حين قسم التجربة الإنسانية إلى مستويين من التمثيل، تمفصل أول تنبع عنه وحدات دالة سماها (monème)، وتمفصل ثان تنبع عنه وحدات صوتية غير دالة ولكنها تملك وظيفة تمييزية سماها (phonème)، يقول: "نستطيع الآن صياغة مفهومنا للغة. فهي آلة للتواصل تتمفصل التجربة الإنسانية - حسبها - بشكل مختلف في كل مجتمع، إلى وحدات ذات محتوى وتعبير صوتي هي الوحدات الدالة (المونيمات)، هذا التعبير الصوتي يتمفصل بدوره إلى وحدات تمييزية متتالية هي الوحدات الصوتية (الفونيمات)، بعدد محدد في كل لغة تختلف طبيعتها وعلاقاتها من لغة إلى أخرى" (29).

فالأصوات تتركب منها الكلمات، والكلمات هي التي تتكون منها التجربة الإنسانية، وهو ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: "وتجيء



الحروف متميزة في السمع وتركيب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر".

ومن جهة أخرى، فإن هذا التعريف يذكرنا بما ذهب إليه بالمسلاف الذي "ينظر إلى اللغة من حيث إنها تتضمن مستويين، مستوى التعبير ومستوى المحتوى. يتكون مستوى التعبير من الغطاء الصوتي أو الخطي للفكرة، ويتكون مستوى المحتوى من عالم الفكرة التي تعبر عنها في اللغة.

نلاحظ أن اللغة، في واقعها، تستعمل عددا قليلا من الأصوات اللغوية، في حين أن مستوى التعبير يتكون من مادة مشتركة بين كل اللغات، تتألف من الأصوات التي يمكن النطق بها بواسطة الجهاز الصوتي الإنساني. إلا أن الطرق التي تتوافق فيها هذه الأصوات، ضمن تنظيم اللغة (أي شكل مستوى التعبير) هي خاصة في كل لغة.

بتعبير آخر، يحتوي مستوى التعبير على مادة تعبيرية صوتية يمكنها أن تكون مشتركة بين سلسلة من اللغات الطبيعية، وعلى هذه المادة، بالذات، يظهر شكل التعبير وطرق استعماله في لغة معينة" (30).

ومن جهة أخرى، فقد ميز ابن خلدون بين الصوت المنطوق أو المسموع والحرف المكتوب، حيث يقول: "ثم إن أهل الكتاب من العرب اصططلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألف وباء وراء وطاء إلى آخر الثمانية والعشرين. وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي

مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان" (31). وربما هذا الذي جعل سيبويه يميز في الكتاب بين الأصوات الأصول والفروع، إذ الفروع أصوات تابعة للأصول، ولكنهم عجزوا عن إيجاد مقابلها المكتوب لها، إذ قد يؤدي استعمالها إلى اختلاف المعنى، كما في اللهجات المعاصرة في المغرب العربي (راب وراب بالإمالة الشديدة) و(راح وراح بإمالة شديدة كذلك)، وهي أمور استطاع الرسم القرآني أن يجد لها حلاً، كأن يضع نقطة تحت الحرف الممال إمالة شديدة في رواية ورش. وابن خلدون نفسه اقترح طريقة لحل مشكلة كتابة الحرف الأعجمي متأثراً في ذلك بالرسم القرآني حيث يقول: "ولما كانت كتابتنا مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم، وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا، ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا إلى بيانها ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلنا، لأنه عندنا غير كاف بالدلالة عليه. فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته، وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الإشمام كالصراط في قراءة خلف، فإن النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي" (32).

ولم تختلف الدراسات اللسانية الحديثة عما ذهب إليه ابن خلدون في التمييز بين الصوت اللغوي والحرف المكتوب، حيث يرى عبد الرحمن

الحاج صالح أن "الحرف يقابل الصوت في كونه هيئة للصوت يتميز بها عن صوت آخر في المسموع. والحرف شيء مجرد، هو مجموعة تختلف عن الأشياء التي تدخل ضمنها هو مجموعة من العناصر المحسوسة" (33).  
خاتمة:

هكذا، نلاحظ اللسانيات المعاصرة لم تذهب بعيدا في طريقة معالجتها لأغلب المسائل التي وجدناها مطروحة عند ابن خلدون، بشكل مباشر أو بشكل عرضي، فوافقت في أغلب الحالات رأيه بشكل صريح، وإن كان الاختلاف في طريقة المعالجة وفي المصطلحات التي أفرزها كل مرحلة.

1-Noam Chomsky, la linguistique cartésienne, tard.par N.Delanoé et P.Sperber,ed.du Seuil, Paris 1969.

2-عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتني، والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، الكويت /القاهرة ط4، 1993، ص 152.

3- عبد الجليل مرتاض، ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر عدد 8، 2003، ص 83. وإن كان المسدي يرى أن ظهور ابن خلدون لا يعد بمثابة الطفرة، بل جاء في الوقت الذي كان يجب أن يظهر فيه، لأن العلوم العربية الإسلامية تمحضت وتراكمت ووصلت معه إلى مرحلة قطف الثمار، حيث يقول: "فإذا صح عندك ما افترضنا [...] تبين لك كيف أن ابن خلدون ما كان إلا ثمرا طبيعيا لنمط الحضارة التي أنشأته، فالتكفير النقدي العربي توليدي كما عرفت، فهو إذن مشعر خصب ومثمر هي ابن خلدون". قراءات مع الشابي والمتني والجاحظ وابن خلدون ، ص 158.

4-حسن حلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة العربية، بيروت 1986، ص 310.

- 5-انظر يسرى عبد الغنى عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص 74 (بتصرف).
- 6-المسدي، قراءات مع الشابي والمتني والملاحظ وابن خلدون، ص 152.
- 7-محمد الصبان، حاشية الصبان على شرح الألفباني لألفية ابن مالك، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة 1305هـ - ج1 ص 15.
- 8-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1998، ص 508.
- 9-Christian Nique, initiation méthodique à la grammaire générative, Armand Colin, Paris 1974,p.11.
- 10-ميشال زكريا، قضايا الألفية التطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1993، ص 61 وما بعدها بتصرف.
- 11-ابن خلدون، المقدمة، ص 508.
- 12-المصدر نفسه، ص 500
- 13-Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, édition payot, Paris 1974, p.25
- 14-Ibid, p.25.
- اعتمدنا في هذا النص على ترجمة صالح القرمازي ومحمد الشاوش وعبد عجيبة لكتاب سوسر بعنوان: دروس في الألفية العامة، الدار العربية للكتاب، تونس 1985، ص 29. غير أنهم يترجمون مصطلح langage كلام، ومصطلح parole لفظ. وقد أشرنا في محاضرة ألقيناها بسوسة (تونس) في شهر ديسمبر 2005 بملفتي حركية المصطلح الذي نظمته وحدة البحث "النقد ومصطلحاته" إلى الاختلاف الكبير في ترجمة مصطلحات سوسر بين اللسانين العرب.
- 15-عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993، ص 187.
- 16-هذا الشكل مأخوذ من: محمد الصغير بناني، البلاغة والعمارة عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 48.
- 17-ابن خلدون، المقدمة، ص 500.
- 18-المصدر نفسه، ص 500

19-عبد الجليل مرتاض، ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث، ص99

20-انظر:

Todorov et Ducrot, le dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd du seuil, Paris 1972

21-H.Besse et R. Galisson, polémique en diiactique, du renouveau en question, coll. Didactique des langues étrangères, CLE international, paris 1980, p.54.

22-نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس بيروت 1985، ص

170

23-المرجع السابق، ص 173. وهي حديثة يتزعمها بعض العلماء العرب من أمثال لويس

عوض، وأنيس فريجة، غرضها إحداث الهوية السحيقة بين أجيال المسلمين الحاضرة والقادمة، وبين عقيدتهم وتراثهم.

24-المرجع نفسه، ص174.

25-ابن خلدون، المقدمة، 560.

26-ابن خلدون، المقدمة، ص 493.

27-المصدر نفسه، ص39

28-ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وأصحابه، الباي الحبلي القاهرة

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

1954، ج 1، ص06.

29-André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris 1980, p.20-21.

30-ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 248.

31-ابن خلدون، المقدمة، ص 39

32-المصدر نفسه، ص.ن

33-عبد الرحمن الحاج صالح، علم الأصوات (مطبوعة لطلاب معهد اللسانيات

والصوتيات) الجزائر 1972، ص 02.

## بوادر الإبداع عند جبران تونس

### الأديب الشاعر محمد المصمولي

(نص: أسطورة رماد... نموذجاً)

بقلم : البشير التلمودي

عندما نقول بداية.. غالباً ما نتصور عملاً متواضعاً سواء على مستوى الفكرة أو على مستوى الإنجاز. وهو عادة ما يكون مجهولاً من طرف النقاد نظراً لقلة خبرة صاحبه ومحدودية وسائله وقصر تجربته وقلة مراجعه. فلا صاحب النص يتجرأ على إظهاره مستقبلاً ولا النقاد يدرسونه بعمق. فلكل عامل بداياته ولكل عمل مراحل نضجه وتطوره. وقد يحدث لدى بعض المدعين العكس لأن الارتداد آفة بعض الأعمال وقد يبقى الكاتب طيلة مسيرته على العتبة التي بدأ منها فلا هو يطلع على ما كتبه الآخرون شرقاً وغرباً ولا هو يتطور.. بل يبقى يجتر أفكاره السابقة كما أنه المرجع الوحيد الذي يعطي ولا يأخذ. وقد سقط في هذه المطبة العديد من أدباءنا العرب. وقد نعود إلى هذا الموضوع الخطير في حديثنا الآتي حتى نحاول فرز الغث من السمين وحتى لا تبقى الشجرة حاجزاً للمشاهد الثقافي الأول في البلاد بيننا وبين أشجار الغابة الأخرى لأن المثل الشعبي يقول (وفي السوق أكثر من مرزوق واحد).

نحن واثقون من أن هذا الذي نشير إليه بلطف له أسبابه الظاهرة والخفية. وقد يكون للشجرة داخل الغابة أو الجالس في الصف الخلفي مسؤولاً بدرجة كبيرة عن عدم تواجده وسط المجموعة خصوصاً إذا آمنا بانحسار موجات النقد الانطباعي زحف ما يسمى بالنقد الأكاديمي ووقوفه كالسند أمام المحاولات النقدية الأخرى.. ولا نريد من كلامنا هذا أن يفهم أننا ضد هذا النوع الأخير من النقد لأنه ضروري جداً لتقريب الأثر الأدبي إلى هواة الأدب وخاصة طلاب هذه المادة في المعاهد والكليات شريطة أن تكون هذه الدراسات نزيهة تلقائية صادقة وليست مفتركة وذات نوايا وأطماع وغايات بعيدة كل البعد عن أخلاقيات الأدب الخالص والثقافة السامية.

إن ما أصبحنا نراه اليوم من ابتذال في المجال النقدي دخل بهذا اللون الأدبي في لعبة السمسرة الثقافية التي زادت من إفراز الغث على حساب السمين لأن العلاقة التزييه التي كانت في السابق موجودة بين الكاتب والناقد كانت من وراء الستار أي بين الناقد والأثر بينما الآن أصبحت نتيجة علاقة شخصية وصدافة منفعية ومصالح ظرفية وهذا أمر خطير يضر بالأدب والأدباء.

وقلّة هم النقاد الزهّاء الذين عرفتهم وتابعت مسيرتهم الشريفة في مجال النقد الأصيل ولعل أحدهم هو الأستاذ أبو زيان السعدي الذي قرأ معظم ما يصدر ولا ينقد إلا من يستحق النقد حياً كان أو ميتاً.. هكذا بلا طمع ولا رياء ولا بحاملة ولعمري هذا هو النقد الذي نريد وندعو

إلى تعميمه. إذ ما الفائدة من نقد لا يفك الشفرات ولا يوضح المقاصد ولا يكشف الأغوار ولا يخرج الدرر لقارئ قد لا يفهم إلا ما ظهر من معاني الكلمات؟ وشخصيا أدعو (الأكاديميين) إلى العودة على ما ألفناه من نقد انطباعي بناءً فلنا منه وترعرعنا في جنانه مع طه حسين ومارون عبود وعباس محمود العقاد وغيرهم والابتعاد قدر الإمكان عن هذا الذي أصبحنا نراه من مخابر أدبية يعرى فيه النص تعرية مريعة وتشرح فيه أوصاله تشريحا فظيحا بآلات أكثر تطورا من (السكانير) الطي بدعى البحث عن خلفيات الخلفيات لأسرار لم يبح بها الكاتب ولن يوح بها لأن ما سيوصل إليه ناقدنا هو مجرد معادلات وجداول وخطوط بياناته مفتركة لم ترد في ذهن الكاتب نفسه. لكنه التورم الذي عشعش في أذهان بعض النقاد الجدد الذين تعلموا تضخيم (فقران مخابرهم) أولا لإرضاء غرورهم وثانيا وهذا الأهم تحقيق ما رب أخرى ليس هذا مجال ذكرها.

إن الذي نود التأكيد عليه هو ضرورة إقبال النقد وبكل حرية ولا إيعاز ولا تلميح على ما يرون أنفسهم ملزمين بنقده نقدا نزيها ولعل هذا... ما دفعني إلى العودة لنص نادر كان قد نشره الأديب الشاعر محمد المصمولي بمجلة الجليل التي تصدرها دار المعلمين والمعلمات عدد 1 ديسمبر 1962 صفحة 9-10 بعنوان (أسطورة رماد) كتبه (عبر الذهول عند انحناء خط الضوء) في لحظة حزن جميل وبؤس شاعري (وضع فيها قلبه على الورق... ومعه تاريخه) رغم أن محمد المصمولي



كغيره من الشعراء يروم لحظات التجلي و الاختفاء وراء الضباب والستائر الخيرية فإن له من الشجاعة ما يجعله يقدم طبق الورود المهدى إلى من يحب... هكذا عاريا بلا أشرطة ولا ورق سيلفان كأنه يقوا للقارئ ها أنا امنحك بعض مفاتيح أسراري... لكن انا واثق من أن غموضي (الواضح) سوف لن يمنحك من رؤية عذاباتي وأحزاني ودموعي.

وفعلا .. فلمن يكتب المبدع؟ إن إيصال أشجانه ومعاناته للآخر هي في النهاية هدفه الأسمى لكن يبدو أن محمد المصمولي لم يجد لحد الآن قارئه المنتظر ولتجراً أكثر فنسأل: هل وجد القارئ المنتظر إن وجد ما ينتظر من مبدع يكتب أكثر من 45 سنة!!؟.. ولم ينشر إلا مجموعة.. رائعة هي بين الشعر والنثر تحمل عنوان (رافض والعشق معي) (الدار التونسية للنشر في طبعين 1972 و 1983).

يحدث لبذرة المبدع أن تجد بدايات اليد الدافئة التي تأخذ بيدها فتهدئها قلما وورقا او فرشاة وألوانا أو أزميلا وحجرا... ويحدث أن لا يجد المبدع أمامه لا شيء من ذلك غير الإحباط وتغيير المسار فقط لأن البذرة الثانية حطت خطأ في اليد الخطأ.

قد يقع إصلاح المسألة وتدارك الأمر إذا ما اشتد عزم المعنى بأمر الكتابة أو الرسم أو النحت أو غير ذلك من الإبداعات. قد تحدث المأساة لكن هيهات...

كاد محمد المصمولي ان يسقط في غير الحظن الذي ينبغي ان يحط

فيه.. فهو كاتب شاعر وإنسان يقول شعرا عندما يكتب. أعرفه منذ عام 1962 من خلال نشاط النادي الأدبي الذي كنا ننتمي إليه ونصدر من خلاله نشرة داخلية بإسم دار المعلمين والمعلمات عنوانها (الجيل) وقد تعاقب في الكتابة بهذه النشرة العديد ممن أصبح له شأن كبير كمحمد المصمولي وعبد المجيد الشريف ومحمود طرشونة وغيرهم.

كان محمد المصمولي وما زال مثالا للمربي المثقف والأديب الأنيق يذكر ككلما التقيت به حقبة الأدب الرفيع. فمن منا لا يعرف صاحب الغليون... ما زلت اراه يتحرك بين سباته وإهمام يده اليمنى أو بين فمه وابتسامته التي لم تتغير حتى بعد ان غاب عنها الغليون- إنها الصورة التي طبعت في ذهني أكثر من أربعين سنة ربما لأنني التقيته أحيانا في غير الندوات والمؤتمرات والفضاءات الثقافية بل في أماكن أخرى أكثر دفئا واخضرارا أو أرحية. ويبدو لي أن من القواسم المشتركة التي تربطني بمحمد المصمولي هو هذا الذي أشرت إليه وأتمنى أن يشاطرنى محمد المصمولي وغيره الفكرة عندما أقول أن صفاء الذات يكفه وعمل المودة يتلاشى واهتمام المرء يتشتت كلما كان الفضاء كبيرا والوجوه كثيرة.

إن اللقاء المنشود بين الأدباء لقاءان : - لقاء أول يتم عن طريق النص ولقاء ثان يتم مباشرة أي بين أدبيين يتحول الواحد منهما إلى قارئ- من المفروض أن يكون ممتازا لكن غالبا ما يحدث العكس. نعود إذا إلى نص (أسطورة رماد) لمحمد المصمولي فنكاد نجزم أنه من

أجمل ما كتب المصمولي ونسيت إن كان هذا النص مدرجا أم لا بمجموعة (رافض والعشق معي) لأنه وإن احتوى على العديد من أناقة الكاتب اللغوية وجمال رؤيته الشعرية للعواطف والأحاسيس الإنسانية فإنه يبقى في نظرنا علامة متميزة في إبداعات المصمولي لسبب واحد هو عودة النص إلينا كلما تراءى لنا اسم محمد المصمولي كأن المؤلف أصبح أسطورة في مجال الكتابة رغم أن ما نشره مقارنة مع ما كان يجب أن ينشره قليل جدا جدا. وهذه أيضا ميزة أخرى لها أسبابها قد لا تصيب الكتاب العاديين.

النص إذن عنوانه (أسطورة رماد) صدره الكاتب بحملة شائعة أرادها كبساط سحري وضعه على ذمة القارئ المقبل على التوغل في غابات النص الأمازونية ذات البحيرات الاستوائية والأفكار العجيبة التي تحملك كالخلم عبر ضباب أسطوري رائع...  
<http://Archivebeta.sakhril.com>  
 "آه جزيرة أحلامي..."

**فقد كانت قهقهة سراب كسفنوية النار..**

**كانت ارضا بورا زرعت فيها عقلي وكأسي ونائي وأصابعي...**

**ثم قبرت فيها آمال عمري.. وأحلام شبابي"**

لعل أجمل ما يسر بل محمد المصمولي هو تلك الأحزان العطرة التي تصطحبه صباح مساء - إنما الهواء الذي يتنفسه... وليس من الضروري أن يكون الإنسان تعيشا حتى يحزن.. ولهذا كان الحزن لدى المصمولي هو نوع من التحلي ونافذة يسافر من خلالها نحو آفاق لا

يراهما الباحث عن النكتة المبتذلة لإثبات سعادة كاذبة. عندما يكتب المصمولي يفوح من احتراق كلماته عطر عجيب فهو مزيج من السعادة والحزن معا أي دمة وابسامة لا تفقه سرها إلى (موناليز ديفنتشي) ولا أظن أنه اختار لنفسه ان يكون كذلك لأنه لا يقدر ان يكون عكس ذلك وقد اثبتت الأيام أن هذا الأديب استطاع رغم عدم إيمانه بالمتداول من الأشياء والمبتذل من فئات الحياة... أن يحقق لنفسه بنصوص رائعة ومقالات مسؤولية ومواقف واضحة وعشق دائم للأدب. ولعل من صفة العطاء هو هذا الشعور بالتواضع الذي يسكنه.. تواضع يقعه أحيانا بل ويدفعه نحو اليأس فيتحول اعتزازه بقيمه الداخلية إلى يأس باد للعيان من خلال صدقه في الكتابة:



”وأثر إفلاسي“

استيقظت فما عثرت على شيء حتى نفسي فقد امتصتها هاوية

الفجر.. وقلت يومها..

وسأسكر وأنسى.. وأنشد حكمة الأنبياء”

أنظروا معي كيف استطاع الكاتب أن يحول خنجر الانتحار إلى باقة أمل فقد تفتن في الدقيقة الأخيرة ان المبدع ألحق هو من استطاع تحويل التراب إلى التمر والخيبة إلى نجاح فقط عليه أن يبحث عن أدوات لفك أغلال الجمود وكسر جدار الإفلاس.. لأن الدهول وحده لا يكفي لحل مشاكل الحياة والانهيار وحده لا يكفي للدخول إلى غياهب الفلسفة وحكمة الأنبياء.

إذن قرر المصمولي أن يغير مسار وجوده وتفكيره عن طريق حمرة ابن الفارض حتى ينسى ما قد علق بفكره من أفكار وهواجس وحتى يفتح لنفسه بابا واسعا ينطلق منه إلى عالم التحلي والحكمة الإلهية التي وهبها الله إلى أنبيائه حاملي الصفاء والحب لكل أبناء هذه الحياة وما سيأتي بعده من حياة أفضل لا تعرف الأفول ولا الإفلاس ولا الموت.

"سأكفن جسدي مع أنثى من بنات الكروم..

ثم امتطي جناح الشوق إليك يا نصيبي الضائع.."

اختار كما ترون أحسن وأجمل طريقة لتحقيق المبتغى.. وهل ثمة أروع من أن يسافر العاشق مع من أحب داخل كفن واحد من ورق عصير الكروم.. وأن يمتطي معه جناح الشوق للسفر بعيدا بعيدا إلى حيث الحب الأول والحب الأعظم بحثا عن السعادة الضائعة. وكأن الطبيعة التي صورها المصمولي وهي ما زالت في بداياتها فهمت غايته الخالصة فأشفقت عليه وأرادت أن تقف إلى جانبه لتساعده على تحقيق أمله.. فما كان منها إلا أن قامت بما يرضي براءته وعشقه وصدقه فإذا بعناصر الطبيعة تعلن على انتحار القمر وما تبع تلك المأساة من غضب وأحداث.

" وانتحر القمر عندما أجهضت الحياة فجرها المهزول فلم أعد

بعده..

أجد منادما في ليالي الشوق..

وامتدت أصابع الشمس تطرد النوم من أجفاني...

أصابك عيفة أيتها الشمس..

لا أريد الصحو..

من قال إنني من أبنائك؟

لقد بدا لنا جلياً أن محمد المصمولى كان عبر لحظات ميلاده الجديد يعيش ازدواجية الوجود بأكبر معانيها فهو الإنسان الضعيف أمام عناصر الطبيعة وهو كذلك الراض بقوة لكل ما يمكن أن يصدر عن تلك العناصر الطبيعية من مخاطر. وهو لعمري شعور المبدعين في كل العصور فإذا به الصانع والمفجر للعبوات الناسفة في نفس الوقت. إن المصمولى لا يخاف العدم لعلمه بأن الموت الظاهر هو عنوان الحياة الأزلية ولهذا فقد اختار أن يكون صاحب القرار الأخير في السفر مع حبه الجارف للحياة متى شاء على جناح الشوق للحصول على نصيبه الضائع.. ورغم فضاة ما حدث بانتحار القمر وإجهاض الحياة وتلاشي الفجر المهزول.. وبقائه وحيداً يجتر ظلال الوحشة فإنه رفض كعادته ما أرادت الشمس أن تقدمه له من إسعافات بزرع الضوء في أجفانه المتعبة.. بل عاتبها بقوة وشراسة ولم يقبل الصحو بل أنكر حتى انتسابه إلى أبناء الشمس والحياة!.

لقد أراد المصمولى دون أن يشعر- أن يعطي لعامة الكتاب درساً قيماً في عزة النفس والإيمان بقدراتها في تغيير مصير صاحبها نحو الأفضل لأن الإنسان هو ظل الله في الأرض وبالتالي فهو القادر وحده على تغيير ما بنفسه من اعوجاج إذا ما أراد معانقة السمو والرفعة والخلود..

إن الكتابة لدى المصمولي نوع من الحلم الواعي والتجلي الساحر الذي قد يصيبه وهو بين النوم واليقظة إذ ليس من الضروري أن يكون الإنسان (واعيا) حتى يكتب نصا جيدا. ولعل الدليل على هذا ما استشهدنا به في بداية هذا المقال والذي جاءنا كالحلم لأن ما سيحدث بعد ذلك سيثبت ما ذهبنا إليه.

يقول المصمولي:

"وهجرت سريري...

تاركا وسادتي تأكل نفسها..

ثم فتحت بصري..

فإذا بالمرأة تتعري أمامي في قمتك..

تتحسس جسمي بنظرها الثلجية..

ألا أغري.. أغري عن وجهي

ففيك تبدو آثار إفلاسي...

إنها حالة الوعي والإحباط وعودة اليأس كأن الكاتب أراد أن يبقى نائما فعلا ولا يستفيق فحياة الأحلام أكثر وعيا أحيانا من الحياة الظاهرة لكن ترى ما الذي يمكن أن يفعل هذا الإنسان المهزوم زمن الصحو والمسلوب زمن النوم حتى لا (لا تأكل الوسادة نفسها) و(حتى لا تتعري المرأة أمام صاحبها في قمتك وتتحسس جسمه بنظرها الثلجية وبالتالي حتى لا تظهر آثار إفلاس المبدعين فيه.

"وأحسست يا رفيقي بالاختناق وحتى بالغثيان..

الفراغ شيء مريع.. إنه من أكلة لحوم البشر."

لا أبالغ في شيء إذا صرحت أن بؤادر الإبداع لدى الكاتب تشبه بؤادر المخاض لدى المرأة: خوف وضيق وفراغ وإنعقاد وهي حالة يقدر ما هي مريعة يقدر ما هي لذيدة لأن الخوف على دفن الإبداع أقسى على المبدع من الولادة نفسها.

قد تبدو هذه النظرية مبالغاً فيها لكنها الواقع لأن الفكرة بعد ولادتها تأخذ طريقها وتنتشر تاركة مكانها لبذرة أخرى قد تشهد ولادتها وقد لا تعي بموتها أيضاً.. (فإذا هو الفراغ.. وإذا هو الشيء المريع... الأكل للحوم البشر)!!

أنظروا معي هذا الوعي المبكر عند المصمولي الذي رغم بؤادر البداية سيثبت ما قلناه يوماً بأنه امتداد وتواصل للمبدع جبران خليل جبران لعدة اعتبارات قد نعود إليها مستقبلاً.

وجلي أن المصمولي كان منذ البداية واعياً بوجوده الحائر في عالم ما انفك يرقص على كف عفريت. فلم يكن ليرضيه شيء من تفاهات هذه الحياة الساذجة الرتيبة الباردة التي لم تعطه شيئاً يذكر من تلك الأشياء التي يطمح إلى تحقيقها. فإذا به مجروح الشفتين واليدين والقدمين يرفض ضاحكاً على مظاهر هذه المهزلة الجماعية التي يحياها العالم المجنون على كل الأصعدة.. إنه يعلم تفرده وتميزه وسموه على بشاعة الأشياء المعتادة لذلك لم ير بدا من التشبث بجوهر وجوده وقداصة معدنه وصدق إحساسه.



"ثم ارتديت جراحي القديمة..

مع نعلي الذي مزقه السحاب..

وخرجت عاريا من نافذتي راقصا ضاحكا..

وأخذت أصرخ بين الناس صامتا..

هل من نخاس بينكم.. يبيعي جسدي الذي ضاع مني..

هل من عاقل فيكم يأخذ بيدي نحو الأمس..

وأمام هذا الغضب وهذه الحيرة وهذا الألم إزاء حاضر مجروح يائس  
يتساءل المرء عن الأسباب الخفية التي زادت من تأجيج نار الوجد في  
عروق الشاعر فإذا بأسطورة الرماد تلتهب من جديد وإذا بنار الأمس  
تعود كبير كان إلى الانفجار وإذا بالسر الذي حاول إخفاءه الشاعر منذ  
البداية يطفو مع رغبة حلالة النص.. إنه الحب الأول الحقيقي الذي  
يهز العشاق ويزلزل قلب الشاعر الوهّان..

"الفتاة الأولى التي فتحت كوة الضياء في عمري..

وصعدت بروحي نحو الملكوت الأعلى.. / فسكرنا بكوثر الفردوس..

وصلينا قرب عرش الإله مع الملائكة".

يتساءل في حركة عن هذه التي أحبها وعشقها بصدق وعمق وقضى  
معها أحلى لحظات العمر وسافر معها إلى أعلى مراتب اللذة والأحلام  
ملتحما وإياها لجسد كجسد نوراني واحد يرقص كأرواح الملائكة في  
محراب الحب الإلهي.. يتحسر ويحترق ويتساءل أمام محبوبته كما لو  
كان يراها حقيقية.

"لكن آه.. قد ضيعت في التيه حسي يا رفيقي..

فأنا مجنون أتجول في الأسواق بزنزاتي...

فأرى بشرا بلا رؤوس...

.. يسرون بلا أقدام..

.. ويتكلمون بلا شفاه.."

إنما أبشع أنواع الغربة التي يمكن أن يعيشها الشاعر المطعون في حبه ووجدانه وآماله. لقد استطاع المصمولي في هذا المقطع أن يصور مأساة الوجود في أقصى أبعادها فأثبت بوضوح أن الإنسان الحر لا تقعه الأقفاص ولا تحد من حريته الحواجز ولا المطبات.. فهو حر متى قرر أن يتمتع بحريته المسلوقة وقادر على حمل سجنه على كتفيه والاعتناق به على آفاق الحرية والتجول به في أسواق المسحوقين في الأرض.. أولئك الذين أضاعوا رؤوسهم وأقدامهم وشفاههم.. كأنه يريد أن يقول لنا أي مصير ينتظر هذه الجثث المخطئة الآتية من أفق الجهل والموت.. سوى البشاعة والتفاهة والجهن؟

لقد أحس المصمولي ببوارد الصدمة منذ بداية التجربة التي واصلها مكرها أملا في تغيير ملامح هذا الوجود الحائر لكن وعيه كان أعمق من أن يدخل في متاهات اللعبة فاكتفى بالعودة إلى الأمس ولوعته في أضلعه كما قال وكانت التنهيدة:

"فكان صمتي مناجاتك..

وجنوني ذكرياتك..

## ويقظني أحلامك...

### يا بقية الحياة في احتضاري الوثيد..

إنه (الأمل اليائس) ولعل هذا ما يختصر فلسفة المصمولي في الحياة.. (أمل ويأس) أو (يأس لذيد) يتحول فيه الحزن إلى سعادة والسعادة إلى شجن إذ ليس من الضروري أن يكون المرء تعيشا حتى يحزن لأن الحزن عنده لون من ألوان الحياة.. لولاه لما أحس بالسعادة الروحية التي نعم فيها.

هكذا عاش المصمولي الأديب المبدع وما زال على امتداد أربعة عقود من الزمن فلا هو يغير من مسار وجوده ولا هو يجاري الزمن الذي سبقه في يحمل فترات حياته ليتوقف عندما يشاء متأملا واعيا مفكرا حائرا أو ليعود إلى متابعة أحلامه الأولى بحمله الحنين (عند انحناء خط الضوء) حيث (حطم ساعته الثرثرة) وسرق (من الفلاح الشاب سفينته العرجاء) طمعا في لحظة هروب عذبة وإنعتاق أبدي من طاحونة الشيء المعتاد.

### "ثم أبحرت في الأزرق الهدار..

### ودموع الوداع لم يجففها الشراع.."

إنها المعاناة الدائمة والاحتراق اللاهوائي الذي عمل المصمولي على أن لا يهرب منه لأنه قدره وهل يستطيع النهر أن يغير مجراه؟ إن المصادقية كالجينات الوراثية ولو لم يكن المصمولي أديبا بالفعل لكان أديبا بالقوة لأنه لا يمكن أن يكون عكس ذلك وسيبقى في نظرنا الكاتب المبدع الذي يشعر دوما بما يقول.. بعيد الرؤى.. عميق الأفكار.. جميل العبارة خالدا في تونس كحيران لبنان.

## أدباء وكتاب من رابطة الأدب الحديث بالقاهرة !

بقلم : رشيد الذواودي

### مدخل عن التواصل الأدبي:

حلقات التواصل الأدبي، هي حلقات ممتعة وشائقة وتعكس مراحل كفاح الأدباء وتطلعاتهم، كما تمثل زادا معرفيا يؤرخ لأجيال، ولأعمال، ولمعارك فكرية وسياقات في ظل الماضي والتراث وفي حكايات العصر.

وشخصيا - وفي أغلب سني عمري - تابعت الكثير من حلقات التواصل الأدبي والفكري عن طريق مؤلفات الأدباء والدوريات العربية بدءا بأسواق الشعراء، ومرورا بالأمسيات الأدبية. وانتهاء بجلسات المقاهي وبما دار فيها من نقاشات حول قضايا العصر الفكرية، وحول مشكلات الأدب والنقد المثارة في ضوء المؤثرات، وأوجه الاختلاف، وحمل الرسالة، وإشعاع الأديب فيما حوله.

وعن كل ما أشرت إليه أذكركم بأدباء ونقاد عديدون اهتموا بالكتابة عن (حلقات التواصل الأدبي) ومن بين هؤلاء : عباس محمود العقاد، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف، وأنيس منصور، وشوقي ضيف، وجمال الغيطاني، والبشير بن سلامة، ووديع فلسطين، ومحمد سلماوي، ومحمد جبريل وسواهم... وفي ضوء مجريات التأكيد على إحياء هذا التواصل اسمحوا لي أيها

الأساتذة الأجلاء، لكي أتحدث إليكم في هذه الأمسية عن (فرسان وأدباء من رابطة الأدب الحديث بالقاهرة)، وهؤلاء كلهم كانت لهم إسهامات فكرية وأدبية، وجمعتني بهم علائق ودّ وصداقة موصولة، ومحبة في الأدب، وغايات في مواكب الحياة، وظهر في المقاصد، ومسؤوليات في إثراء الحركة الأدبية المعاصرة، وكل هذا حصل عن طريق (رابطة الأدب الحديث).

### أضواء على رابطة الأدب الحديث:

وكما هو متعارف فإن (رابطة الأدب الحديث)، هي (جماعة أبو اللو الجديدة) وهي وريثة مجد أدب خالد وتكرار (لأبو لو) القديمة الشامخة (1).

وأن (جماعات) هذه الرابطة عديدون، وعرف ببعضهم الدكتور عبد العزيز الدسوقي، والدكتور عبد العزيز شرف والأساتذة: وديع فلسطين ورشيد الذواودي ومحمد عبد العال الملقب بالشاعر الأموي وحسني سيد لبيب وجمعة محمد جمعة ومحمد جبريل وسواهم من أدباء الوطن العربي . وإذا ما كنا حضرات السادة والسيدات الأفاضل قد تحدثنا عن (أبو اللو) القديمة والجديدة، وأشدنا بدورهما في المشهد الأدبي، فإن الواجب يدعونا إلى أن نشيد بإبداعات ادباء عظام كأُمير الشعراء أحمد شوقي (1868-1932)م، فهذا الشاعر الكبير من مواليد مصر، وتآدب بآداب العرب، فأخذ كما أورد حنا الفاخوري: "عن كل شاعر أفضل ما عنده: فراقه من أبي نواس مثلاً وصف الخمر والغزليات، وراقه من

البحثري صفاء الخيال ودقة الصور وجمال الوقع الموسيقي، وأعجبه من أبي تمام والمنتبي احتفالهما للمعاني الرفيعة والسعي في إصابتها، ولو بجهد النفس، وشيوع الحكمة والأمثال في شعرهما، كما أعجبه منهما قوة الشخصية التي لا تتقيد بغل، بل تصبّ معانيها في قوالب قد لا تتسع لها، من غير اكتراث لغموض أو اضطراب تعبيرى". (2) ..قلت إن هذا الشاعر، كان أول رئيس (لأبولو) القديمة..وكذلك ينبغي أن نشيد بشاعر القطرين: خليل مطران: (1870-1949م) فهذا الشاعر من مواليد (بعلبك) في لبنان، وتلمذ على الشيخ خليل اليازجي وأخيه الشيخ إبراهيم، واصطدم في شبابه بالمدينة الغربية لما ارتحل إلى باريس، وأدرك في رحلته من المعاني ما جعله يرثي حال بلاده التي كانت ترزح تحت الحكم التركي وهنا جاء إلى مصر وتولي لبضع سنوات إدارة جريدة (الأهرام)، وساهم بعد ذلك في إنشاد صحيفة (المؤيد)، ثم أنشأ في مصر (المجلة المصرية) وبعدها أصدر (الجوائب) اليومية.

وأشاد بقلم هذا الشاعر الكبير الكثيرون منهم : مصطفى لطفى المنفلوطي فقال عنه: "شاعر راقى الخيال بديع التصور، يجيد في كل شيء، لا أعرف له شبيها في المقدرة على تصوير جزئيات المعاني". (3) وفي سياقات الإشادة برواد (الرابعة وأبو للو) أشيد بأحمد زكي أبو شادي وبشعراء آخرين، كإبراهيم ناجي، وصالح جودت وعلي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، والدكتور مختار الوكيل، وإسماعيل الدهشان وسواهم من شعراء (أبو للو) الكبار.

وفي ظل تراث (أبو اللو) وبدءاً من عام 1953 تألق اسم مصطفى السحري باسم: (رابطة الأدب الحديث)، كما تألق اسم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وكلا الرجلين حملاً مشعل (الرابطة) وأسهم بمجهود وافر في نشاطها، وفي إعلاء شأنها على صعيد الوطن العربي فالسحري مثلاً، كان روحاً متوقدة في مجال النشاط والإبداع، وهو كاتب كبير وشاعر قوي، وناقد حصيف اندمج في مجتمعه وأخلص لمبدأ (الفن للفن)، وأحب الطبيعة والريف، واكتوى بالحساد، وهام بكل قضية شريفة..

يقول عنه الدكتور أحمد زكي أبو شادي في تصديره كتابه (أدب الطبيعة):

"ليس مصطفى عبد اللطيف السحري إلا الأديب الإنساني بأوفى معانيه، وهو بفطرته شاعر الطبيعة المطبوع في جمالها ومعانيها إلى أبعد ما تلهمه الشاعرية الصحيحة، وهو رجل مكتمل الأخلاق، ناضج الإحساس، متزن التفكير، يدين بالإنسانية في صميم وجدانه، وينبض فؤاده بنبضات هذا الكون العظيم." (4)

وهنا تستوجب الإشارة لأثني أيضاً على الدور الذي قام به كل من الدكتور خفاجي، ود. مختار الوكيل، ووديع فلسطين، وحسني سيد لبيب، ومحمد عبد العال، وجمعة محمد جمعة هؤلاء في تعزيز دور الرابطة وإعلاء منزلتها، حيث وضع هؤلاء رؤية جديدة للرابطة مما مكّنه من مواصلة مشوارها الأدبي والفكري، وهنا أذكر مجموعة من الدراسات

تم إصدارها عن أدباء كبارا عايشوا الرابطة وارتبطوا بها، ومن هؤلاء الكتاب: محمود أبو الوفاء، وأحمد زكي أبو شادي وأبو القاسم الشابي، ومصطفى السحرتي، وإبراهيم ناجي، ورشيد الذوادي، ود. محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف (5)، وحسني لبيب، والدكتور زهران محمد جبر.

وهكذا أذكت (الرابطة) المشاعر والأفكار، وأثرت الساحة الأدبية بكل جديد وأصيل وطريف. (6)

وفي ضوء ما أسلفت أذكر بتكريم (الرابطة) الأدباء و شعراء كثير وفدوا عليها ومن مختلف أنحاء العالم العربي، ومنهم أدباء من تونس كالأساتذة: البشير بن سلامة، ورشيد الذوادي، والجيلاني بالحاج يحي وأبو زيان السعدي، ومحمد الصادق بن عبد اللطيف، والحبيب الجنحاني وغيرهم.. وأدباء آخرون من اليمن، والمغرب، والسعودية والجزائر، والخليج، وليبيا وغيرها، (7) وأتيح لي شخصيا أن اتعرف على الكثيرين منهم في (رحاب منابر الرابطة) المنعقدة في مساء كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع وعلى امتداد الثمانينات والتسعينات.

إذن فـ(رابطة الأدب الحديث) لها إسهامات، وحظيت هذه الاسهامات بالرعاية والاهتمام والمساندة ومن مجالات اهتمامها:

- أ/: سعيها في رعاية مختلف الأجناس الأدبية كالشعر والقصة والنقد.
- ب/: إحيائها للتراث، وحفاظها على العربية وثقافة الإستشراق السائدة.



ج/: رعايتها للذوق العربي العام، ولأصالة النسيج الشعري.  
أما مسؤولية أعضائها فتتمثل في تحقيق (التعاضدية) والخروج بالنص إلى الأجيال على أساس وحدة الشعوب، وتحرير النص كما يرى توفيق الحكيم، فهذا الكاتب كان من أقدر أعضاء الرابطة وأوصى الأدباء بقوله: "إن الأديب لا سلطة عليه إلا ضميره".  
-أدباء من الرابطة:

وإذا ما كان أبو شادي وأحمد شوقي، وخليل مطران، وإسماعيل مظهر، وعبد الرحمن شكري، وصالح جودت، والتيحاني بشير، ومصطفى السحرّي وأضراهم من (عظماء الرابطة و "أبو للو") فإنّ في هذا اليوم استسمحكم لكي أتحدث عن عظماء آخرين..  
وبعضهم تعرفت عليه واختلطت به وارتبطت بفكره رغم متغيرات العصر..وأبدأ:

-أولاً : بالدكتور محمد عبد المنعم خفاجي رئيس الرابطة الحالي، وهو الذي تولى هذه الرئاسة عقب وفاة مصطفى السرحي. (8)  
وأقول عن هذا الأديب الأزهري النابغة: لقد جمعتني به الأيام ذات يوم من شتاء 1982 بمقر (رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، سنة و كنت أدركت قبل جهاده العلمي عبر مؤلفاته الكثيرة ، ومن خلال مواقفه الشجاعة ودوره الريادي في خدمة الدعوة الإسلامية وتخرج العلماء.  
وميزة الرجل، أنه كان كاتباً قديراً، وترك بصمات في رحلة الحياة، وفي حراسة اللغة العربية وقرأها الكريم.

والدكتور خفاجي كما هو متعارف عنه: هو شاعر وناقد، ومحقق للتراث، وكنت كتبت عنه عدة دراسات في الدوريات التونسية وأصدرت عنه كتابا سنة 1993 بعنوان: (الخفاجي.. أدبيا وناقدا)، واشتركنا معا. وبمعية الدكتور عبد العزيز شرف- في تأليف بعض الكتب الأدبية (9) ولعل خير من أشاد بهذا الأديب الكبير هو الدكتور أحمد زكي أبو شادي حيث قال عنه هو: "ظاهرة فذة في تاريخ الثقافة العربية بلا منازع".

-ثانيا: ومن أصدقائي في (الرابطة) الدكتور عبد العزيز شرف، وهو ناقد متميز وشاعر كبير، وترأس (القسم الأدبي). بجريدة (الأهرام)، وله ولوع باللغة العربية، وترجم عيوننا ونصوصا منها إلى اللغة الأنجليزية والدكتور شرف (9) سجلت عنه وعن أدبه عدة (رسائل جامعية) ومن أهم كتبه: (الحمشيري)، فـ (الرؤية الإبداعية في أدب البياتي)، و(الأدب العربي ووجه العصر،) و(محمد فريد رجل أيقظ أمة).

- ثالثا: والدكتور مختار الوكيل: وهو شاعر رقيق، وعرفته عن كتب، وبيني وبينه مراسلات كثيرة، وترجمت له في كتابي: (أدباء من مصر) .. ولمختار الوكيل الذي التقيت به لأول مرة في (الإذاعة المصرية) وبالتحديد في شتاء 1984 عند مناقشته ديوان (عامر البحيري) عضو (الرابطة) وفي حوار مع الناقد عادل النادي في (البرنامج العام) .. قلت لمختار الوكيل عدة مؤلفات منها: كتاب (رواد الشعر الحديث في مصر)، وديوانين من الشعر هما: (مواكب الذكريات)، و(على باب

طه).

وهذا الصديق ولد عام 1913 وتوفي في التسعينات.. وقبل أسبوع من وفاته وصلتني آخر رسائله من (جنيف)، وألح عليّ أن أكتب الخير عن مرضه، وقال لي في هذه الرسالة : (لا تعلم أصدقائي بمرضي وربما لا أعود حيا إلى القاهرة.. فأنا مريض.. ومريض جدا.. وفعلا توفي مختار الوكيل في تلك الأيام وفقدت أختا عزيزا علي، وظللت أذكره بكلّ خير، وأشيد بتدينه وبخصاله الأخلاقية.

- رابعا: الأستاذ الناقد محمد عبد العال: وهو صديق وفي وعزيز علي، وجمع بين نشاطات متعددة في (الرابعة) وهو السكرتير العام لها، وأصدرت عنه الرابطة كتابا ضخما بعنوان: (محمد عبد العال.. الشاعر الأموي) (10).

ونوهت شخصيا بهذا الكتاب الهام في مقال نقدي نشر في مجلة الإتحاف التونسية (11)، ومما قلته عنه: "إنك حينما تتجول في كل فصل من فصول الكتاب، تكتشف شاعرا رقيقا رافعا صوته بالحق والإيمان.. وفي ترحالك مع محمد عبد العال، ترى وتكتشف أجواء الصعيد".. وعن هذه المنطقة يقول محمد عبد العال:

"الصعيد جعلني رجلا متمسكا بقيمي، غيورا عليها" ونعم ما ألفه هذا الأديب وحافظ عليه. (12).

- خامسا: الأديب الناقد محمد جبريل: وهو روائي وقصاص آخر ومن أدباء الأسكندرية الأصلاء، وسبق لهذا الكاتب أن قدم لي وللأخ

الصادق حسني سيد ليبب كتابنا المشترك عن (اتجاهات القصة التونسية القصيرة)، كما يمتاز هذا الكاتب القدير بسوانحه الأدبية والنقدية في صحيفة (المساء) القاهرية، وفي جريدة (الوطن) الكويتية (13).

ومحمد جبريل يتراءى لي في أكثر من موقف نقدي وفكري أنه ولوع بتجميع وتشجيع الشباب الأدبي في (ندوته الأسبوعية) بنقابة الصحفيين في القاهرة، كما تميزت كتاباته بالدفء، والتشويق، عن مسقط رأسه: (مدينة الإسكندرية).

فالإسكندرية في كتاباته مدينة ساحرة وأخاذة، وهي وطن الصبا والشباب، ولم تزل وحي إلهامه إلى حدّ هذه الساعة (14).

وفي تقديري الشخصي أنك كلما قرأت نتاجاته وإبداعاته تتحول إلى منزهات الإسكندرية وإلى شوارعها وأحيائها لك (المنشية)، و(السيالة)، و(الأنفوشي) و(الميناء الشرقية)، و(العطارين)، إنها بحق أحياء الشرفاء وكرام الناس.. وفي هذا الشأن قد تقف مع رأي آخر جاء على لسان الناقد حسني سيد ليبب: يقول هذا الناقد عن صديقه محمد جبريل:

"إنك كلما قرأت أعمال محمد جبريل تقودك خطاك، فتتعرف على البيوت والشوارع والمقاهي والدكاكين والناس أيضا في الإسكندرية.."(14)

أما بقية إحققي أدباء الدرب في (الرابطة)، فهم على التوالي:

\* الناقد الأديب وديع فلسطين : وهو كاتب (كيس)، ومناضل بحق، حيث تعامل مع الناس ومع اللغة العربية تعامل الرضاء الأوفياء، وهو

وبين ذلك ليغيّر من طبيعة العلاقة بين الأديب والقارئ، هذه العلاقة الّتي قامت منذ البداية على الوفاء والصّدق والاحترام، ولا شيء في اعتقادنا يغيّر من طبيعة هذه العلاقة في وجهها الحقّ، مهما فسدت أحوال الطّبائع، وتغيّرت الظروف وانحرفت الأهداف، لأنّ التاريخ قمينٌ بوضع كلّ أمر في نصابه الصّحيح، وفي مجراه السّليم الذي يمضي إلى الإمام دون توقّف.\*



---

\* الحرّية: ماي - جوان 2004

## المُهَزَّرُ فُون

يكثُر الحديث في بيئاتنا الثقافية العربيّة، ومن بينها بلادنا تونس، عن الأدب وفنونه وعن الشّعْر بوجه خاصّ، وما ينبغي لهذا الأدب من تجديد وتحديث حتّى يعبر بقوة عن هذا التطوّر الفكري والروحي والإنساني الذي تأخذ به مجتمعاتنا العربيّة، لاسيّما وقد انفتحت على ألوان الثقافات وفنون من الإبداع وأشكال من فلسفات الفنّ، غير التّعليم الجامعي المنظّم الذي نراه يتّسع اتّساعا بديعا، وغير الكثير من الجهود العلميّة والفكرية والأدبيّة، والنقدية التي أنجزتها قرائح خلاقة من رواد النهضة العربيّة الحديثة، وعمّقتها أجيال تَمَن سارت على الدّرب القويم في فهم الأدب وكنه الشّعْر ورسالته، وحقيقة الثقافة بما هي تصوّر لبناء المجتمع والإنسان، وفلسفة لتجديد العقل حتّى يؤدي رسالته الخالدة في تدعيم القيم العليا للإنسان حيثما كان، وفي الإضافة النوعيّة لمسيرة حضارة العصر، هذه التي نراها في كثير من الأحيان تختلّ موازينها تحت وطأة انحراف مصدره الهيمنة والاستعلاء والسيطرة على مقدّرات الشّعوب الأخرى.

بعدها.

- 7- المصدر نفسه ص 36 وما بعدها، وصحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ 1984/1/23م.
- 8- المصدر نفسه ص 12
- 9- توفي الدكتور عبد العزيز شرف في 31 ماي 2004
- 10- انظر كتاب (مع هؤلاء) ل محمد عبد العال ط مصر 1985
- 11- انظر مجلة الإتحاف دراسة لرشيد النوادي ع 148 ص 20 يونيو 2004 ص 37 وما بعدها
- 12- نفس المصدر: رشيد النوادي ص 39 وما بعدها
- 13- صدر كتاب (اتجاهات القصة التونسية القصيرة) عام 2003
- 14- انظر (روائي من بحري) : حسين سيد لبيب ط مصر 2001 ص 9 وما بعدها.
- 15- أدهاء من مصر: رشيد النوادي ط مصر 1993 ص 99 وما بعدها
- 16- انظر الملحق الأدبي لجريدة الحرية بتاريخ 2005/11/24 ص 9
- 17- هذه المداخلة ألقاها الكاتب التونسي رشيد النوادي برابطة الأدب الحديث بالقاهرة مساء يوم 20 ديسمبر 2005م.



## محجوب الطرابلسي

من "نرسييس" إلى "آخر الوصايا"

شاعر ممتلئ بذاته الجريحة وعاشق متيم بالشعر

بقلم : نجيب البركاتي

تصدير :

فتنة اللّغة كفتنة المرأة تماما لذلك أشبه دائما الشعر بالنساء فقد  
تباغتك أنثى فتستنفر حواسك وتتهيا غرائذك وترغب في اكتشافها  
وسرّ أغوارها باذلا الغالي والنفيس في سبيل هتك سحف جماها  
ودررها المكنونة وإذا انت تراودها عن نفسها معدّا متكئا لمن لامك في  
غرامها كي ترى الأيادي مقطوعة والأفواه لاهجة آناء الليل وأطراف  
التّهار بقولها : "ما هذه أنثى إن هذه إلا ملاك الفردوس".

كذلك قل في فتنة اللغة فبعض المجموعات الشعرية أقرأها فتأسرني  
وتدغدغ ذهني وتشحذ فكري فأمضي قدما في مغامرة التأويل  
والكشف وهذا ما وقع لي مع الشاعر "محجوب الطرابلسي" منذ عمله  
الشعري الأول "نرسييس" زها قد طلع علينا وليده الثاني "آخر  
الوصايا".

وفي هذا الإطار تتوزل قراءتنا لمجموعتيه التي اخترنا لها هذا  
العنوان: "شاعر ممتلئ بذاته الجريحة وعاشق متيم بالشعر" وهي مقاربة



سنتناولها وفق التمشي التالي:

1- تجليات الإمتلاء بالذات الجريئة وفيها نجد:

1- نرجسية الذات

2- مستويات آلام الذات

3- تجليات عشق الشعر وأسبابه

- الشاعر محبوب الطرابلسي شاعر ممتلئ بذاته لذلك جاء عنوان المجموعة الأولى "نرسييس" كما تعلمنا الأسطورة اليونانية رجل افتتن بصورة على صفحة الماء ويوم غابت صور نزل للبحث عنها فقضى نجه وفي نفس المكان نبتت زهرة "النرسييس" ومن هذا الإسم اشتق لفظ النرجسية ومن المعروف أنها تتمثل في تركيز طاقة الحب في الأنا، وفي الحالات العادية يتوزع الليبدو ما بين الذات (حبة الذات وتقديرها) وبين الموضوعات (التعلق بالآخرين والإعجاب بهم) أما في حالة النرجسية فيتم التوظيف العاطفي (الليبيدو) من الآخرين ويتركز في الذات وحدها ومن هنا تتحول النرجسية إلى "أنا مثالي" وهو تكوين نفسي داخلي يعرف كمثّل أعلى للحجرات النفسية.

فالعنوان كما اسلفنا "نرسييس" وصورة الشاعر في الواجهة لا في الخلف كما درج معظم الشعراء على طبعها وتلك الكلمات التي تشي بعلو الشاعر وتساميه وإعجازه. صلبة الصورة وهي مقتطعة من قصيد نرسييس ص 40 من مجموعة "نرسييس":

واقفا

لا شيء أجمل مني

كي أقبله

سامقا لا شيء أطول مني

كي أعانقه

معجزا

لا شيء أعظم مني

كي أفسره

كلها دلائل على أن "محبوب الطرابلسي" لا يحب ذاته فقط بل يعبدها وهو ممتلئ بها، لا بل يفيض عليها، ثم ذلك الكم الهائل من التعريفات في الغلاف الخلفي للمجموعة (ولد، درس، أشرف، حاصل...) 

وهو تعريف بالذات *grit* وإنجازاتها، *bb* تواصل ذلك *in* التعريف نفسه في الغلاف الخلفي لمجموعة "آخر الوصايا" وتتأكد التزعة النرجسية في نص الإهداء، فقد أهدى المجموعة لنفسه أولا، ثم إلى ابنه وفي ذلك تحضر ذاته لأنه سيورث ابنه نتاج هذه الذات كما قال وهو الشعر، وإلى كل من كرمه أو لم يكرمه وإلى من أوصد الباب دونه، لذلك تراه واحدا متوحدا لا يسمع غير صوت ذاته معتدا بها، مفتتنا بها، غارقا فيها.

أمر على المرايا

فأراي من حولي

مسيحا بالأنثى يا أنا

بالأنا-يا أنا

واحدًا أوحدًا

يبد أن هذه الذات المعبودة تعيش آلاما ما بعدها آلام، وتلك لعمرى مفارقة كبرى، فمع النرجسية المفرطة تنكسر الذات على صخرة الألم، فالشاعر شرب من مياه الحزن حتى الثمالة، فتتوَّعت آلامه أو ليس كلّ الذين أحبّهم فقدهم باكرا وغادروه إلى حيث العدم، فمنذ وقت مبكر فقد أمّه فبقي الجرح نازفا وبقيت تلك الأم الرؤوم "حليمة الطاهرة الأبيّة" كما قال عنها ملهمة شعره، فقد ألّف حولها قصيد "ما فوق عرش الأمومة أحد" ورد في مجموعة "نرسييس" ص 87 وهو قصيد طالما ردّده عشاق الشعر من الطلبة بين جدران كلية الآداب بسوسة.

ARCHIVE  
تَهَجَّد وَسَبَّح لَعَرْشِ الْأُمُومَةِ

فَمَا فَوْقَ ذَا الْعَرْشِ إِلَّا الْأَحَدُ

وقد طالت رحلة الشّجن والألم بسبب الفقدان المروّع، يقول في قصيد "أمّاه يا وطني" ص 91 من مجموعة "نرسييس"  
فَالصَّدْرُ مِنْ لَهْفٍ قَدْ بَاتَ مُسْتَعْرَا

والجرح يا وجعي أتى سيندمل

وقد توحّدت الأم بالوطن عبر عنوان القصيد سالف الذكر، فقد اختزل الوطن باتّساعه وامتداده في أمّه وتلك قَمّة الذوبان في عشقها، هذه التي توقف الكون بعدها وأصبحت الأرض عاقرا، يقول في قصيد "إنّي أراك" ص 94 من مجموعة "نرسييس"

الكون بعدك يا أميمة واقف

والأرض بعدك يا أميمة عاقر

حتى فؤاده أضحى عاطلا عن الحبّ فلا حبّ يعادل حبّ الأم،  
فمهما تغزّل بجمال المرأة ومهما خفق قلبه إعجابا بفتنة الحبيبة يستدرك  
ويردّد في قصيد "تباريح العشق" ص 33 من نفس المجموعة

ما عشقت بعد أُمّي

غير وجه هو جرحي

هذا الجرح الذي ظلّ مفتوحا وأبى أن يلتئم وأنى له الإلتئام وهو ما  
فتى يتذكّر والده، ذلك "الكادح أبدا" كما قال عنه في نص الإهداء،  
ذلك الأب الذي لم يتمتّع محجوب بخنانه كما ينبغي لذلك تصرخ  
روحه في قصيد "الموت على سلّم الوقت"

<http://rit.com> هذي روحي تنادي

خذوني إلى الموت

هيا... فشوقي إليه

يطير ويعلو

والشوق في الحقيقة هو شوق إلى ملاقاته الأحبة، وتعمّق جراح  
الشاعر حين يرزؤه الموت في صديقه "سفيان بن ضياف" الذي نعاه في  
قصيد ماتم الكيوان ص 101 يقول:

فزعت لمشواه السّماء وهلّلت

رمم القبور لماتم السّفيان

وتكتمل فصول الخراب حين يرحل الشاعر الكبير نزار قباني فيسقط  
صرح من صروح الشعر ويغادر فرد من عائلته الكبرى إلى الأبد  
وتحاصر الأحزان شاعرنا بعدما أنشبت فيه المنية أظفارها فيطفح كأسه  
بمرارة كبرى تفيض على عناوين قصائد "نرسيس" (إحترافات قلب  
يعترف، غدا راحلون، الغريب، شكاة ميت، قهر موت، الموت على  
سلم الوقت، ماتم الكيوان).

وعلى عناوين قصائد "آخر الوصايا": (آخر الوصايا، خطي الغريب،  
شاعر في جحيم، وداع، أغنية المقابر). والملاحظ أن الشاعر يحتفي  
بالموت كثيرا إن يتواتر في مجموعتيه بشكل لافت، فهذا الغول والوحش  
الكاسر ترسب في لاوعيه ولم يجد منه خلاصا فهو أبدا ينغص كل فرحة  
ومن هنا أضحت حياته جحيما صار على قلبه يقيم

http://rit.com غابت قناديل روجي

ودربي

وخطوك فاض بالقلق

(آخر الوصايا ص 85)

وآية قيمة وقتها لجمال الحبيبة والعمر قصير، يقول في قصيد "أنا

وحبيبي والشعر" ص 55

إني أراك اليوم أجمل

وأرى العمر قصيرا

إنه الوعي الشقي والإحساس المأساوي بالزمن وكما يقول هيدقير

في دراساته عن الشّاعر هولدرلين، "الشاعر الحقيقي هو الشّاعر الذي يحسّ بسطوة الزمن ووقعه"

وطبيعي بعد ذلك ان يطفح ذكر الموت والأموات من جديد في مجموعة "آخر الوصايا" فالوصية تأتي عند الموت حين يدرك المرء قرب النهاية، وبعد موت الشّاعر ودفنه سينفضّ الجميع من حوله وفقط، فقط أمّه ستبقى بجانبه، هذه الأم الرّؤوم هي مثل الأم التي ذكرها الشابي في ديوان أغاني الحياة في قصيد معروف عنوانه "قلب الأم".

هذه الأم الودودة حليلة الطّاهرة رمز الحنان الفياض لم تفارق ذهنه لحظة يقول في نص التصدير:

"كل من دفنوك سيذهبون ولن تبقى بجانبك إلا أمك" وحين يذكر الأم لا يلبث الوالد أن يذكر ذلك الذي تنبأ بها سيؤول إليه وضع الشّعر من مأساوية، كلمات معدودة تشي بالانفتاح على مدار الرّعب، كلمات ككلمات الدّراويش والمتصوفة وأصحاب الكشوفات: "سيأتيكم زمن يساقط فيه الشعراء تباعاً كأوراق الخريف" ويتساءل الشّاعر هل هذا هو الزّمن، مادامت إرهاباته قد بدأت في الظهور لذلك نراه يتشبّث بالشّعر ويهيم به حباً، إنّه آخر معقل لأبناء الليل والحيارى والعشاق والمتوحّدين مثله، هو يحب الشّعر بدليل قلبه لمنطق الأشياء، ففي قصيد "الغريق" ص 60 ينضب البحر على اتساعه وعظمته وكبر حجمه فيغدو مثل الصّحاري وهو الأكبر من اليابسة ولا ينضب الشّعر في قلب الشّاعر.

هو البحر ينضب

مثل الصّحاري

ولا ينضب الشعر

في قلب شاعر

وعلى ذلك فهو يتحدث الموت الذي ناصبه العناء طويلا ونكّل به  
فما دام شاعرا لن يموت، يقول في قصيد "جسدي هنا وقلبي يرحل" ص

17

يا أيها القلم الصديق

أنت لا تدري



لا أموت

ولن أموت

ARCHIVE

<http://Archive.berakhril.com>

نعم يرحل الجسد الفاني ويبقى الشعر، ويبلغ التعصّب للشعر  
والإستقواء به حدّ مماثلة الرّسول صلّى الله عليه وسلم في قوله لأبي بكر  
وهما في غار حراء: "لا تحزن إنّ الله معنا"، نقرأ في سورة التوبة الآية  
39: "إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إذ هما في  
الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا" .

والشاعر يقول لصاحبه في قصيد "المهرولون" ص 25 من مجموعة  
"آخر الوصايا".

يبكي صديقي ويرتجف

لا تحف يا خليلي إنَّ الشَّعر معنا

إنَّها قَمَّةُ الإِسْتِواءِ بالشَّعر والثَّقة في مُوازرتِه له.

وَيَمْضِي مُحجُوبُ هَذَا المِلاحِ الثَّانِي الوِفاضِ إلَّا مِنْ فُؤادِ عامِرٍ بِحَبِّ  
الأشعار والكلمات

هي ليلة تمضي

مثل زورق لا يعود

لكن ساكن وأغني

وأرسم هذا الوجود

وقد طَلَّقَ هَذَا العاشِقُ الوِلْهَانَ للشَّعر كُلَّ أنثى غير أنثى المفردات يقول  
في قصيد "همسة ود" ص 49:

ARCHIVE

إنني الآن فريد

<http://Archive.ch.3akhr.it.com>

في التوادي

ولتطلق كل أنثى

غير أنثى المفردات

هي ترنيمة حب الشَّعر في زمن لا يؤمن بالشَّعراء

هي آخر الأغنيات

ما ترث ويرث

الغريب في بلاد السَّعير

وغربة الشَّعراء

ومن هنا تغدو تلك الكلمات القلائل التي وردت في نصِّ التصدير



ذات معنى: الشّاعر يصرخ وهو يحتضر: "أنقذوا الشّعر قبل أن يندثر" وفي الواقع محجوب الطرابلسي هو الذي يصرخ قبل أن ينقضّ الجدار وقبل أن تفعل معاول الهدم فعلها الشّعر وقبل أن تقلع رياح العولمة آخر ما تبقى من خيام الشعر وكما يقول د. محمد عبد المطلب في مقال صادر بجريدة أخبار الأدب "في زمن توحّش العولمة تتابعت على الشّعر العربي ثلاث مقولات تدميرية ، وكانت الأولى، (انحسار الشّعر) ثم تلتها الثانية (زمن الرّواية، زمن المسلسل التلفزيوني)، ثم جاءت ثالثة الأناني (موت الشّعر) وواضح أن المقولات كانت بمثابة مقدّمة نتج عنها ضمّ الشعر إلى أسباب تخلف العالم العربي ومن ثمّ (يجب رفعه من الخدمة الثقافية)" لذلك يصرخ محجوب الطرابلسي هذا الغريب على الزّمن: "أنقذوا الشّعر قبل أن يندثر".

<http://Archivebeta.Saknet.net>

### أن آية شعرية

#### لغم يهدم ما بنى الأعداء

وهنا يصبح الشعر في مقام النص القرآني المقدّس، ويعتبر في نفس هذا القصيد وهو قصيد "غربة أم اللغات" من مجموعة "آخر الوصايا".

#### أن بيتا من الشّعر

#### أثمن من بيت من الشّعر

وكما نعى حافظ إبراهيم واقع اللغة العربية وما آلت إليه في قصيده الشهير الذي مطلعته

رجعت لنفسي فأنتمت حصاني

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

فإن محبوب الطرابلسي يتحدث بطريقته الفنية الشعرية الخالصة والخاصة عن واقع اللغة العربية فاللغة هي عنوان الهوية وستبقى شكلا من أشكال مقاومة الزيف والذوبان الحضاري في هذا العصر، وكما نادى محمود درويش بضرب العدو بأشلاء الشهداء حين يغيب السلاح ويصبح المحارب اعزلا:

وسقطت قربك فالتقطني واضرب

عدوك بي لا مفر

فأنت الآن حرّ ثم حرّ ثم حرّ

ينادي محبوب الطرابلسي بأن تضرب العدو باللغة

احمل لغتك يا فتى

<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

واضرب بها هذا العدو

وبذلك يثبت شاعرنا عشقه الكبير للشعر والشعراء اولئك التائهين في ملكوت الفن، إنه العشق الممزوج بالحزن، الحزن والخوف من مصير مؤلم يترصد الشعراء والشعر واللغة العربية، فدافع الحب إذن هو الخوف من فقدان الشعر كخطاب فني راقى، والخوف من سقوط الشعراء تباعا في هذا الزمن اللعين الذي جاحمه محبوب بالكلمات.

لا تسمعوني

فالكلمات صرخاتي

## وصيحة المخزون

وبعد هل عبّر هذا الشاعر الحزين عن أحزانه فقط؟، أبداً، كانت كتابته ثرية في شكلها ومضمونها ولا يعني اقتصارنا على هذه المقاربة التي انطلقت من جوانب نفسية مضمونية غياب المواضيع الحقيقة بالدرس، فالجموعة الأولى كما الثانية ضمتا أشكالاً فنية حرة بالتناول من مثل شكل الكتابة الشعرية عند محبوب الطرابلسي والصورة الشعرية عنده وتأثره بالنص الديني، ففي قصيد "القصاب والشجرة" ينسج على منوال سورة التوبة التي بدأت دون بسملة، يقول تعالى في بداية سورة التوبة: "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين".

وشاعرنا يقول:



وما انتبت من الأسود والحمام

إلى الذين عاهدتم من القصاب والرحم

وقوله :

يا أيها المدثر

شرايين القلب

ينهشها اللهب

قم وانظر لأوتاد بيتك

بقوله تعالى في سورة المدثر: "يا أيها المدثر قم فأنذر"

وقوله :

ستقبلك يوم يلتقي الجمعان

هذه الخيمة

والجمعان لفظ ذكر في سورة الأنفال، الآية 40 "وما أنزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان"، أما في قصيد "عمر" فهو يستدعي شخصية عمر بن الخطاب ويوجه له الخطاب ويستنهضها كي تردّ العزة المفقودة ، بالإضافة إلى كلّ ذلك ألمح في شعر محبوب الطرابلسي نفسا درويشيا (نسبة إلى محمود درويش)، وعموما فقد حوت مجموعة "آخر الوصايا" بيانا شعريا مطوّلا يدين فيه الواقع وينعى ما آل إليه الشعر من غربة، وكأني به عبر هذا الإنتاج الشعري يستحضر القولة الشهيرة "لجوتة الأملاني": "سوف لن يقولوا كانت الأزمنة رديئة سيقولون لماذا صمت الشعراء" وقد تكلم محبوب كثيرا ونحن نشعر بأنفسنا كأننا لم نقل شيئا حول إنتاج الشاعر وربما نتاح لنا الفرصة في قادم الأيام كي نتناول المجموعتين الشعريتين من زوايا أخرى.



## مزامير الحب والحياة

شعر: صالح الطرابلسي

لهذا الزمن مذاق،

آخر:

.....

.....

.....



يا اللغة المخضبة

بجحر دمي...

لا بد للحب

من نكحة أخرى...

لا بد للعاشقين من موت في الهوى

حتى ترهق الروح في الجسد!

\*\*\*

للصيف...

طقوس الجفاف تمرّ

بنا،

فتغفو على حلم،،،

يسترخي برهة على

شاطئ الذّاكره،

لكي يهض غصّاً

بأنساغ الحرف!

قل يا أيها الظالمون

عشقاً هلموا...

تقيّاً ظلال الهوى

ونشر في قفر المدى...

واحاح أخرى

للحب!

\*\*\*

منذ الأنزل،

أبحث عنها!...

وسأبحث عنها...

حتى الأبد

هو امرأة...

ما إن تسكن جسدي،

حتى

تهجرني!...

قلبي يعشقها،

يشتهاها دمي،

وأموث فذاها...



كي تجود بوصل، فتمانعني!

هي صوت غدي....

ونواة للروح في

جذب الجسد.

\*\*\*

ابنة الحقل والشفق

أيقظتني

ذات طفولة شفاقة

كالهواء! ...

أهدتني جناحين للحلم،

قالت:

هذا طيفي على مدى الأفق

فخلق أينما شئت

حرًا وعب على

قدم أسنانك

أكوساً من عصا مرته!

ARCHIVE  
<http://Archiveba.Sakhril.com>

\*\*\*

ابنة الحقل والشفق،

تحرث في

أفقي الداجي أخاديد

التحدي، وتررع

في فؤادي النازف

بالجراح



بذرات من نرواج الحرف

الغض، يمسخ

عن وجه دنيائي...

صدأ الغبار الكثر!

\*\*\*

ابنة المحفل والشفق،

ناولتني من رجا من

عتق الجبال الرواسي،

وعسلًا...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakniti.com>

من رحيق الشمس وقالت:

ذا مرغيف من الجوع

العشقي فكل...

واشرب على النخب!

\*\*\*

ابنة المحفل والشفق،

وهبت الأشجار في حدائق

"عمري المجرود" قطوفا

من سناها مخضبة...

برشاش

من ملح البحار وقالت:

ذا عناق من سرّ الوجود

فدقه،

تكشف لك الدنيا

عن كنه أسرارها...

وتهديك...

حياء!

من حمأة القلب المعنى،

ومن نفحات الفياء في

ظفائر العذارى

الحالمات،

أبني...

في بحر عينيك عشنا



للحب! ...

يا ابنة الحقل هلمي

نحضن حبنا

نغذيه من حلو ومر ...

تبارح شوق،

ونسقيه من دفء الحنين

عتاقا!

\*\*\*



هلمي ...

بنار العشق: حبنا

نظهره!

وبالوجد في ...

لهيب الإشتهااء ...

ندثره،

ويوم نسبح سواء ...

في عطر الندى مريعا ...

مخضوضرا:

يولد،،،

من حبنا تقف ...

يكسسي نرغبا طرنا،

ودنيانا سترقص

شجنا وأنشاء

فتحضنا

ونحضها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويصبح العالم ...

واحدا

أوحدا!

ذا أنا ...

بذرة في الأرض تموت!

تحتسي،

في جوف الثرى،

ضماً الفصول اليبانة

ونحيا ...

ونحيا قصيدا تحتفي الأرض

بنزفه للولادة مروضا

يعبق بالشذى في أنماهير

الأمل! ...

\*\*\*

أقالتني بالهوى العذري!  
ما رسي الحجر ما شئت علي،  
<http://Archivebeta.Sajrit.com>

فذاك إكسير...

يعين ليلى الداجي للرحيل

إلى غيم الصباحات

فأصحو دنيا من الأحلام حبل

بفيء المطر!

\*\*\*

إن جاءك الفجر، مؤسرتي،

فافتحني شبابيك

مدائنك عليه،

ترنني جسدا يلتهب

حرقه واشتهاء!...

وأمرأك وإياي،

نققاً أعين الليل،

فلتتم في عشاها،

أعين الجبناء!

ARCHIVE

\*\*\*  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عشقك سيف...

قلبي له غمد!

والغافلون قد كشروا

لكنهم خذلوا!

مسعاهم خاب

فما قضي

لهم وطر!

قالت مؤسرتي ...

لما رأني بها همت:

في الحب ...

لست وحدك فريد نرمانه،

للمم مفايحك ...

والنقطها! ...

افتح فراديس جنانك،،،

واستحث خطاك،،،

لست وحدك أول العاشقين ولا

أنت في الهوى ...

أول قيس،

اتل قداسك الأكبر،

ثم مت ...

مت في عشقك،

خير موت في الومري

أن نموت عاشقين!



## تمرّين بي

شعر : المهادي العثماني

لماذا ؟

تمرّين مثل الربيع

على عجل

تعبّرين المساحات بين القصيد وقلبي

لكي تفتحي .. في سكون الليالي ..

ثلاثين أغنية للحنين ؟ !

لماذا تغني العصافير حين تراك

وتلهو الفراشات قبل الألوان

ويشتاقك الشعر والياسمين ؟ !

لماذا أحبّك مثل الحياة

وأفكّ في نرحمة الذكريات

تضوعين مثل الشذى في الربيع

كطبيب العير،



فأهفو إليك كبرد اليقين ؟ !

وحين أطلّ، على غربيّ في دروب الرّحيل

وأكتشف الحبّ بوصلة أو دليل،

يلذّ لنا موعد للسفر

وأفكّ فيه غناء المطر

أستميك فرحاً قلبي الحزين

وأدعوك أنشودة العاشقين

سأفتح الآن باب القصيد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ليورق قبل الربيع الشجر

وأفكّك عند انبثاق الكلام

صدي لغتي . . . أو مرنين الوتر

لعلي أصدق بعد الشباب

شذى بهجتي ، حين يشدو القمر

وأطرق درب الجوى والمجنون

وأهديك أحلى ليالي العمر

## دمية آدمية

شعر : فلة ميهوب شوشان

لوائح الصدق مرّت

أيقظت الذاكرة

احتظن الوقت قطعة سكر

الذوبان بين الأنامل

الحناسير توقع امضاء مبهم

أنا التي فتحت أبواب صدري

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ووجهي مرآة حق

طفلة مرمر تلعب بالحصى

تخيط ثوب دمية سرامكية

وتقفرب بجبل الوقت تنظ ...

فلاتهدأ .. فقتيدها

بوجه مرجل ضبابي ...

فاستغاثت . . . إستغاثت

الصوت . . . عمق الآبار

يا هذا . . . الذي أبكاني

ونرحل حزني من مكاني

أتعلم . . . أم لا نزلت تتعلم

أنا التي ألبستك ساعة يديك

وقومت الوقت فيك لتستقيم

لتظل عقارب صدرك تنبض

مستديماً . . . حتى الذوبان

فتقضي ليلها على سطح الجيران

على الأمر صفة المشوشة

تحت المطر . . . تحلم بأيام القمر

تحت القيود وتأثيرات الصوت

وتظل تنتظر خطواتك

التي ينبض بها صدرها

وشفتيها تردد الكلمة الملعونة

فتغوص فيك ضمناً ثم ترمي برسالة

في قلب جاف

لكي يحميك من الانزلاق

ثم تنبش الأرض بأظافرهما

حتى تثبت بذرة الحب

وتوقع بشفتيها الآه على

الجبين واليد فترهقك حناناً

كانت تسقيك ماء نزال خلف

كل قطعة خبز يابسة

وتخلع عنك قميص اليأس

حتى لا تضع في أكمامه

هي التي أخرجتك من عالم

المفردات إلى عالم الجمع

ثم امتطت فلك نوح

واحتمت بالعصيان

خلعت ذاك الثوب وتخلت عن الجلد

فأهدتك دمية تتكلم وتناديك

تناديك . . . فاحتمت بالصمم

لذلك امرتديت ثوب الألم

متأسفة إن كان حلمك

حلماً مجرد من الدماء

مرميت بنا خلفك . . . .

تناسيت حتى اقتات النسيان

أيام العمر . . فاهتدينا إلى

مملكة النسيان . . . .

شكرالك وألف شكر إلى

ملك الموت . . . الموت . . .

# الله أكبر

شعر : عبد الحميد العماري

الله أكبر، عند الفجر أسمعا

صوت المؤذن، يدعوني لمكرمة

الله أكبر، كل الدهر مردها

فدبّ في خشوع لا مثيل له

سبحان من فجر الأيمان مشرقة

وقمت اسجد للرحمان مبتهلا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وجهت وجهي للخلاق أعبد

وشاع في شعور لست أعرفه

وطارت النفس في أجواء عالية

ما عدت أشعر بالدنيا ونزائنها

في هداة الفجر ما أحلى قراءته

وذابت النفس في أقصى تشوقها

ما أجمل الصوت في أذني وأحلاه

طوبى لمن بخشوع القلب لباه

أصغى لها الكون أذناه وأقصاه

قد يدرك السر من بالقلب ناجاه

أنواره، فأنا النفس أصفاه

ومراكعنا قاتنا، لم أرح إلهه

مستسلما "بجنان" لست أنساه

من قبل، إلا بقولي ربّي الله

في عالم مطمئن هي ترضاه

إذا قرأت قرانا (1) جل معناه

إذا يرتل في صوت الفناء

إلى الإله، وقالت حسبي الله

1- هي لغة حمازية في القرآن وبها قرأ ابن كثير (قرانا لا قرأنا) للضرورة الشعرية.

## الحب الكبير

شعر : بوبكر البوصي

حبك يقتلني

ينغذ في جسدي

كالمسامير

وأنا صغيرة جدا

لا أقوى على الحب



ARCHIVE اخذني بكل برائتي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وسداجتي

فلا تظن أنني بسهولة

أقبل التغير

فصباي مشدود

إلى طفولتي

فكيف يمكن له

التحرر



أنا تلميذة وأنت المعلم

فعلمي لغة الحب

بالتعبير

وأرسم للهوى طريقا

حتى أستطيع عليه

أن أسير

لأصبح ومردة حب



و بين يديك  
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أصير

أنا واحدة حب صغيرة

أكبر بالود وبالحنان

الكثير

أنا في الحب بسيطة جدا

وأنت في الهوى أستاذ

كبير...

## كأنها معجزة المعجزات...

شعر: صفية بن سليمان حملاوي

بمجرد لمسات ..

على أنهرار

شبكة الشبكات

تجد العلم بسحره

بين يديك .

ARCHIVE

وكان خاتر سليمان

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لديك .

يقول لك لييك

في طرفة عين

مروائع الكون

تسابق إليك

"الأمثرنات"

من تحف الزمان

وأروع الاختراعات  
كأنها من أجل إيقاعات العصر  
ونبض الحياة  
وأؤكد الضروريات  
كالرغيف، كالماء، كالهواء ..  
تلغي الزمان والمكان،  
تذلل كل الصعوبات  
تقدم لك أسرع الخدمات  
وفي لمح البصر ترودك بأدق المعلومات  
تبره أسرع الصفقات ..  
وأحدث الاتصالات ..  
تقرب ما بين الأصدقاء ..  
والأسر والأشقاء ..  
تؤلف بين القلوب وتعقد أطراف "الزيجات".  
في رحاب الأثرينات  
تعشق مروعة الأيام

وكانك تصطاف ..  
على ضفاف حزم الأحلام  
وقد جمعت الكون من أطرافه  
بين راحتك  
بدون مشاق  
ولا أسفار ولا تأشيرة  
ولا جوازات ..  
أمام شبكة الشبكات  
كانك أمام ساحر عجب  
يجعل المستحيل منك قريب ..  
في عالم "الإنترنت"  
كانك بين العلم والخيال ..  
ترقى درجات  
أو كانك منبهر  
بأمة المعجزات .



## عيد.. وخاطرٌ مرتجفٌ

قصة : منير الوسلاي

ليل.. ونجوم مطفأة.. وحدة مجترة غامرة.. ووحشة.. في صدري كارتعاش طير مبلبل فوق فتن وحيد.. غربة الأشجار.. تزحف إلى مثنوى الرؤى.. والأخيلة..  
هذه ليلة.. البحث عن الفرح الطريد.. شزر الأسئلة خاطر مرتجف.. يروم أن يسكن.. وحررة الأسئلة العطشى.. تروم السقيا.. أحزانك القديمة.. لما تذكرها... لم تؤلم رؤوسنا.. المصدعة لا رغبة للأصدقاء في كأسك الغامضة.. هذه ليلة العيد.. ولا حاجة للناس لأفكارك الخطيرة!!...

... عليك.. أن تطرد الأشباح من وجهك.. ومن مجالس النسيان.. وأن لا تستدرج المقابر إلى.. لمة.. الأنس والتسلي.. أنت الآن في مقهى الشعب، بين أهلك وصحبك وبعض من عترة سنوات الدراسة.. تتخلص من عناكب الألم الكوي.. المحكم على جأشك.. وإن رامت نفسك هسهلة الموتى.. فلا تجلس.. إلى الأحياء.. لتزيد طينهم بللا وليفرق الجمع ممن ضم مجلسنا غمًا... هذا مجلس العيد.. وليس مجلس الحرب، وفلسفتك الآسنة المملطخة بنكد الحروب والمآسي... وإن كانت الحرب تحف بنا من كل جانب... لا حاجة لنا بتذكراها... وماذا سيغير في الدنيا مقالك.. لكل مقام.. ومقامنا زهو، وطرب، ونسيان... والنسيان.. رحمة بمجالسنا.. واجتماعنا.. بك.. سرمي.. على طاولتنا.. جثث الذاكرة!

... الكأس التي... يشربونها يعرفون مرارتها... وملحك.. حراق الجروح ووميض الرؤى.. يكشف.. الوجوه الصفراء.. ويشل حركة الشفاء.. والألسن المطلقة بالتهاني فنون الرياء.. يهربون من المرارة.. من الحقيقة.. إلى اللغو.. والضحك البذيء.. والنميمة.. يفرون من وجه المزيمة بالنفاق والتحايل.. أحدهم كان

يتحدث عن صديق مات في الشهر الفضيل.. بدون سبب وكانت نيرة من الحزن العابر عن صديق مات في الشهر الفضيل.. بدون سبب وكانت نيرة من الحزن العابر تبدو على محياه.. "ذاك حال الدنيا.."، "إن الله وإن إليه راجعون".. "الله أكبر.."، "كان رجلا طيبا.. وأطنان من العبارات تقال وثمرت على الشفاه.. حين تقال لاتوقرا للموت.. بل إشفاقا منه.. كثيرون يفرون من أشباح وجه مثل وجهي... يهربون من سحنتي.. من وجودي بينهم.. كطود من الأفكار وجودي.. إذن مؤامرة.. بغضة.. فساد لنواميس المقاهي.. ألقى بأشواك الدروب.. في بستان الاغتباط.. فكرتي لغم.. أخيلتي.. رصاصات الزمن البريء.. تنهال على ملامح الكذب الأبيض والأسود.. لا زيف.. أعير مضيق الوقت والروح فلق الأحلام التي ماتت.. وأخرى.. ما تزال معلقة.. ورؤوس أصحابي ما سلمت.. من تفكاري.. غدا يوم العيد.. سيجمع الحزن بالفرح قليلا.. في محطة خالية.. ستحتفل المقابر بالزوار.. سيتعشش الموتى بكرم الأحياء خدمة لتقاليد العيد.. والتزاما بنواميس المجتمع.. ثم ينسوا.. إلى عيد آخر.. إلى ناموس آخر.. وربما إلى الأبد.. "البقاء للأحياء" هكذا يقول الناس في الجنائز.. وكأسي مترعة بالسخرية وتناقضات ملتبهة لا يستوعبها مداد الروح.. في أحمص النبض.. كأني.. خلقت بدمعتين.. واحة مستنفرة على شفرتسي والأخرى واقفة على باب حلقي.. أرسم الأشياء.. بألوانها.. ولا أغير بوصلة الغيم.. إذا ما أشفقت على قومي.. ليست من الرسل.. ولكن وجه الله قريب من وجعي.. هذا نغمي.. وليس سخطا ألقى به على أصحابي.. ولن يفهم الأصحاب ما قر في صدري.. ولذلك لا أشاركهم لغو المقاهي.. وأرتد إلى غرف رأسي.. أحتفل بالفكرة التي تخترق نوافذ جسدي دون إذن.. أتلاشى مع.. صور تخلق بي في تواريخ هذه الأرض.. في سؤال طهرها ودنسها.. في البراءة النادرة في فلولها الضاممة.. وللدنس الذي أريق على كثير من رُباها..

## كيف أتقنها؟

بقلم : ونام عاشور

كان "عمار" الصحافي الجديد في صحيفة "الأخبار" مُصرّاً على إيجاد موضوع جديد ومثير ينال إعجاب مديره فيجازيه ذلك الأخير بترقية أو مكافأة مالية يستطيع أن يمضي بها عطلة جميلة في الحمامات أو سوسة. وبينما هو مطرق غارق في التفكير والخربشة على أوراقه البيضاء إذ رن جرس الهاتف فرقص قلب "عمار" فرحاً إذ كان المسكين ينتظر مكالمة هامة.

ردّ "عمار" بحماس وفرح وأخذ يحبب: نعم... نعم... رائع.. سوف آتي حالا، انتظري.. لن أتاخر" وهرع الشاب إلى خزانته، وأخذ معطفه البني ومحفظته وخرج من الدار مسرعاً فوجد سيارة الجريدة بانتظاره وصاحبه "سليم" يلوح له من النافذة بسرور. ركب عمار وانطلقت السيارة بسرعة الريح. وأخيراً توقفت أمام شارع ضيق فتزل عمار وصديقه سليم ليدخلا الشارع مشياً على الأقدام ذلك أن السيارة لا تستطيع الدخول إلى الشارع الضيق، وعند دخولهما اشتما رائحة غريبة منتشرة في الفضاء تجمع بين رائحة طعام قديم متعفن ورائحة حيوانات ونباتات ذابلة، ثم أبصروا مجموعة من الأكواخ المتدافعة والتي تكاد تتداعى من فرط تدهورها وتشقق حيطانها وكانت القطط الجائعة تدور بتناقل حول البيوت باحثة عما تسد به رمقها وقد عيونها غائرة ونظراتها

يائسة وأجسامها هزيلة مريضة.

وكانت الحركة والأصوات في هذا الشارع البائس منعقدة تماما ما عدى حركة غريبة شددت انتباه الزميلين: حركة عجوز مسكينة جالسة امام كوخها تطحن أعشابا وأوراق أشجار ذات رائحة كريهة بواسطة حجر كبير مما يصدر عن هذه الحركة الرتيبة صوت أيضا رتيب ممل يبعث على الحزن والتشاؤم ويطبق على القلب. استمر الشابان في النظر إلى العجوز التي أخذت تحرق الأعشاب المطحونة وتخلطها بالماء وتصبها في قوارير قديمة ثم ترصفها في صندوق خشبي بال بعناية كبيرة وأكمام ثوبها الرث تتدلى بلونها الباهت وثقوبها الواسعة، عندها اخذ سليم آلة التصوير والتقط للعجوز بضع صور وما إن انتهت العجوز للأمر حتى نهضت بسرعة وحملت صندوقها وخرجت من الشارع وهي تصرخ بصوت حاد متقطع: "دواء، دواء لكل الأمراض، دواء، شفاء، شفاء بإذن الله..." واستمر "سليم" يصورها بكاميرا التصوير على أن تضائل شبوحها واختفت عن الأنظار. ساد الصمت الشارع بعد خروج العجوز وواصل الصديقان سيرهما وقد تسلل الخوف والضيق إلى قلوبهما. وبينما هما يسيران ويلتفتان ورائهما إذ خرج شيء غريب من أحد الأكواخ المتداعية، شيء لم يستطع عمار وصاحبه إن يعرفا إن كان يزحف أو يتدحرج أو ماذا يفعل؟ ثم أخذ الجسم الغريب يتضح شيئا فشيئا، إنه رجل بوجه جميل الملامح، اسم البشرة في مقتبل العمر لكنه كان يشكو من إعاقة غريبة، كانت ركبتاه مثنيتان ويده اليسرى منكفئة على الأرض بشكل مثير للشفقة ويده الأخرى يستعملها للزحف على



الأرض أما ثيابه فكانت كثياب العجوز رثة بالية: قميص فضفاض مهترئ وسروال ممزق تعلوه الثقوب والبقع وحذاء قديم يسقط بين الفينة والفينة فيرتديه الشاب من جديد ويواصل حركته العجيبة فسبحان الله كيف أتقنها؟

وبعد وقت ليس بطويل أوشك الشاب على الخروج من الزقاق البائس فأفاق الصديقان من دهشتهما وأمسك سليم بالكاميرا وصور الفتى بسرعة وإتقان يدلان على الاحتراف والخبرة. ولكن عمار قال له: "هذه الصورة لا تكفي، تعالى معي" وانطلق عمار وراء الفتى يتبعه سليم وهو في غاية الدهشة مما حدث. توقف الرجلان واختبأ وراء جدار ليشاهدوا الفتى وقد انتحى ركنًا فوق الرصيف ومد يده الأخرى وأخذ يردد بصوت مثير للشفقة: "حسنة لله، لله يا محسنين، حسنة صغيرة تمحي بلاوي كثيرة" وتمتد أيادي المارة إلى جيوبها لتهب الرجل المسكين بعض المليمات والبعض الآخر يتعدى في نفور فيتشبث الفتى بأرجلهم مستجديا عطفهم وكان ينال مبتغاه منهم ذلك إن وجهه كان وسيما رغم فقره وعاهته، إما إذا كان بعض المارة من القسوة واللامبالاة بحيث يدفع الشاب البائس عنه بقوة ويدعه ويذهب، فإن البقية ترمق عندها الفتى بشفقة وتدفعهم نظراته الحزينة إلى إعطائه المزيد من المال. وبعد ساعات غادر الشاب الفقير مكانه وهو يزحف بجهد وإصرار فتوجه الصحفي عمار وصديقه إلى المتجر المجاور ليسألا عن إسم الشاب المسكين فقال لهما التاجر: إنه "مصطفى" يسكن في شارع قريب من هنا" فسأله عمار: "هل تعرف ما أصاب هذا المسكين فسبب

له هذه الإعاقة؟" فابتسم التاجر وقال: "هل يهمكما أمر مصطفى؟"

- "بالطبع، إنه أمر مثير للفضول؟"

- "فعلا، خاصة وإن أخير تكما بشيء آخر" قال التاجر بتهكم.

- "حقا، وما هو؟" تساءل عمار بفضول.

- "إن كنتما ترغبان فعلا في معرفة سر هذا الفتى فتعالا عند الساعة

السادسة والنصف مساء إلى ملهى "الحبايب" لا أشك إنكما تعرفانه."

- أليس هذا المكان وملهى ليلي؟ قال عمار.

- "نعم هو كذلك، أجابه سليم، لقد سمعت عنه الكثير إنه مكان لا

يدخله إلا من كان ميسور الحال، لكن ما علاقة هذا الملهى

بموضوعنا؟".

- ستعرفان عندما تحضران؟، وستجداني هنالك.

والنفث التاجر إلى الحد الزبائن الذي دخل للتو وبادر بالتحية: "أهلا

أهلا عم "فرجاني" كيف الحال؟" فغادر الشابان الدكان والدهشة

تعتريهما وواصلتا سيرهما إلى أن بلغا المكان الذي تركا فيه سيارة

الجريدة فوجدا السيارة وأمامها السائق العم "فرحات" وهو يأكل فطيرة

بكل ثم وشره وما إن رأهما حتى حياهما وقال لهما: لما تأخرتما؟ لقد

بقيت أنتظر لساعات على أن قرص الجوع معدني". فضحك الصديقان

وصعدا السيارة وكلاهما يفكر في الموعد العجيب في الملهى الشهير.

وعند حلول الساعة السادسة، دق جرس بيت عمار ففتح هذا

الأخير الباب ليحدد صديقه سليم يتشاءب أمام الباب ويقول له في تهكم

مداعبا إياه: "هيا، هيا لنمضي ليلة من ليالي الأحلام في الملهى ونحصل في

الغد على ترقية من مديرتنا عثمان البدین. فأجابه عمار بثقة: "كف عن السخرية ستري، هيا بنا".

ونزل الرفیقان الدرج بسرعة وكانا متأكدين أنهما لن يجدا سائق سيارة الجريدة فلم يضيعا وقتهما فانتظاره وركبا سيارة اجرة أوصلتهما أمام باب ملهى "الحباب" فدخلاهما وهما ينظران إليه بدهشة.

كانت الأضواء الملونة تشع في الملهى وتملؤه بنور فاتر تارة وبنور أخاذ تارة أخرى وكانت الموسيقى الصاخبة والضجة تملآن المكان وقد اجتمعت مجموعة من الشباب وشرعت في الرقص والضحك وفي الوسط كانت هناك طاولات فخمة اجتمع حولها أناس يظهر عليهم الثراء يلعبون القمار ويشربون ويأكلون ويمزحون ويقهقهون.

وبینما كان الصديقان ينظران بعجب وانبهار لما يحدث غير مصدقين أنهما في هذا المكان الغريب، إذ أقبل عليهما التاجر وهو يرتدي بدلة فخمة ويدخن سيجارا طويلا بنيا وصافحهما بحرارة وهو يداعبهما قائلا: "ها... ما رأيكما بي أبدو مختلفا، أليس كذلك". فرد عمار ضاحكا: "نعم، حينها قال التاجر: "ولا يصدق أيضا إن ذلك الرجل الجالس مع تلك المجموعة على تلك الطاولة هو "مصطفى المتسول".

فالتفت عمار وصديقه سليم إلى حيث أشار الرجل وإذ بهما يبصران "مصطفى" بطلعه البهية وبشرته السمراء جالسا إلى جانب فتاة جميلة مع ثلة من الناس الأثرياء وهو يلبس كسوة فخمة وربطة عنق وحذاء يلمع تحت أشعة الضوء الجذابة ويلعب الورق ويشرب بسعادة وسرور. والأغرب من ذلك أنه سليم معافى لا يشكو من أية عاهة أو إعاقة. لم

يكذ الرجلان يصدقان ما شاهدا حتى أيقضهما التاجر من دهشتهما يقهقه قوية وهو يقول: "أصابكما الدهشة، أليس كذلك؟ ها ها. لا تعجبا" مصطفى يعمل متسولا ولاعب ورق وقمار في الليل وله شقة على البحر ودكان وهو يفكر في الزواج والاستقرار، طبعاً بعد أن يستقيل من عمله كمتسول". وعاد الرجل إلى قهقهته المعتادة والصحفيان يحدقان به. وبعد لحظات من الذهول همس عمار في أذن التاجر بكلمات طلب فيها منه أن يرتب له لقاء مع مصطفى وأشار إلى سليم أن يختبأ في مكان قريب ويصور ما يحدث وسرعان ما أتى مصطفى مع التاجر وهو يتسم وقدم له التاجر الصحفي وأخبره أنه يريد التكلّم معه بخصوص عمله فنظر مصطفى إلى الصحفي بارتياح وسأله: "لماذا تريد ذلك؟ وكيف رأيتني؟ لا شك أنك مخطئ". فقال الصحفي عمار بهدوء: "أنا صحفي في جريدة الأخبار، وأود أن أجري معك لقاء صحفياً لأن قصتك مثيرة" عندها اجاب مصطفى بغضب حاول إخفاءه بابتسامته اللطيفة: "ليست لدي قصة، أنا أعتبر التسول والجولان في أنحاء المدينة عملاً شريفاً أقتات منه".

- لكنك تتظاهر بالمرض والإعاقة.

- هذا ضروري لنجاح عملي، ثم لا علاقة لك بي. عن إذنك.

وانصرف الشاب على حيث كان يسهر مع رفاقه تاركاً الصحفي فاعراً فاه من الدهشة.

عاد الصحفيان إلى منزلهما وعمار يفكر: "كيف استطاع الشاب التحدث معي بتلك الطريقة. يا له من وقح. ثم كيف أتقنها؟ وأين

تعلمها؟ تبا نسيت أن أسأله".

وتدأخلت الأفكار في رأس عمار ونام وهو يفكر في تلك الليلة الغريبة. وفي الصباح الباكر استيقظ وتناول فطوره على عجل وحمل أوراقه ونزل من العمارة ليجد صديقه ينتظره في سيارة الجريدة وسائقها يلوك كالعادة "سندوتشا" بشره ونهم. وما إن وصلا إلى مكتييهما حتى أسرعا إلى مكتب المدير وعرضا عليه موضوع الأسبوع: "مصطفى المتسول والعمل الغريب الذي يستجدي به عطف الناس والسهرات والليالي التي يقضيها في الملاهي والتتره. نظر المدير على الصور والأوراق وقال لعمار وسليم: "آسف، هذا الموضوع ليس مثيرا. قلت لكما أريد مقابلة مع فنان مشهور مثلا "فوفو سلامة، أو راشد ممدوح، أو لاعب كرة كحمامة شرارة، مع شخص يحبه القراء".

نظر الشابان إلى بعضهما وقال سليم للمدير: "هذا يعني أنك لم تنشر هذا المقال؟!"

- "نعم، سأرى إن كان يمكن نشره في الأسبوع القادم، وأنتما عليكما إيجاد موضوع مناسب لنشره في صفحة "المشاهير" لهذا الأسبوع. خرج الصحفيان من المكتب وهما في غاية الأسف والحزن. لا توجد ترقية ولا مكافأة وكل ما فعلناه ذهب هباءا..

وتدأخلت الأفكار في رأس عمار! فوفو سلامة! إنها مغنية جميلة وفاتنة والجميع يحبها وحوار معها سيكون الدنيا، وسيكسر رأس المدير، وسينال ترقية من دون شك.

- هيا هيا يا عمار ، هات الكاميرا وتعال لنذهب إلى بيتها."